مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (1)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (1) 2014

أنماط الخمر في أشعار الأعشى
دراسة نصّيّة تحليليّة

الدكتور مصطفى حسن حداد*
رباح عبد الرحمن طويل**

(تاريخ الإيداع 10 / 11 / 2013. قبل للنشر في 13 / 2 / 2014)

□ ملخّص □

ينشد هذا البحث أنماط الخمر عند الأعشى، بوصفه أبرز الشعراء الجاهليين الذين تحدّثوا عن الخمر في الشعر الجاهلي، محاولاً أنْ يبيّنَ سرَّ تفوقِ الأعشى على باقي الشعراء في أحاديث الخمر عن طريق محاورة النصوص، وكشف أسرارها.

ولقد رأى البحث أنّ صور الخمر عند الأعشى، ترد في أنماط ثلاثة؛ إمّا في نمط "الخمر القُربان"، وإمّا في نمط "الخمر المسعى" ، وإمّا في نمط " الخمر اللذة". وفي سبيل ذلك، يتتبّع البحث دِلالات الخمر، عبر النصوص الخمريّة لدى الأعشى، لكي يستطيعَ أنْ يكوّنَ هذه الأنماط التي تناسب المعاني الذهنيّة التي تمنحه إيّاه الخمر، عبر تشكيلاتها اللغويّة، و صورها، و ألوانها.

والدراسةُ نصّيّة تحليليّة، تجعل من النصّ نقطة الانطلاق، ولا تقيّد نفسها بمنهج محدّد، وإنما تستنير بما تقدّمه لها مناهجُ الدّرس الأدبيّ. و نشير إلى أنّنا أدرجنا هذه الدراسة التحليليّة ضمنَ خطَّين متقابلَين؛ الأوّل منهما تعاقبي، يتّصل ببنية النصّ، وموقع الصور منه. و الخطُّ الآخرُ منه تزامني، يحاول ربط النصّ بمحيطه الثقافي، و بالتقاليد الشعريّة.

الكلمات المفتاحيّة: الخمر القُربان، الخمر المسعى، الخمر اللذة، النمط، الصورة، الذات الشاعرة، المعاني الذهنيّة.

* مدرس ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب و العلوم الإنسانية ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ سورية .
** طالب دراسات عليا (دكتوراه) ـ قسم اللغة العربية- كلية الآداب و العلوم الإنسانية ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (1)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (1) 2014

Types of Wine in al-A'sha Poetry
A Textual-Analytical Study

Dr. Mustafa Hasan Haddad*
Rabah Taweel**

(Received 10 / 11 / 2013. Accepted 13 / 2 / 2014)

□ ABSTRACT □

In an attempt to disclose the secret of al-A'sha's supremeacy over other poets who handle wine through penetrating texts and unleashing their secrets, this piece of research highlights the wine in al-A'shas'—as one distinguishable al-Jahili poet who described wine in their poetry.

This research realizes that the images of wine in al-A'sha's poems recur in three forms:"sacrifice wine", Journey wine", or "lust wine". Within this context, this research traces the implications of wine taking place in al-A'sha's wine-texts, in an attempt to figure out such types that suit the intellectual meanings based on wine, via their linguistic formulae, their images and colours.

This study is textual and analystical in nature. It considers the text the starting point, at the time that it does not restrict itself to a specific methodology. Rather, it benefits from what the disciplines of literary study propose. It also hints out that the two researchers have classified this analytical study within two parallel extremes: the first is the text-closely adhering one, which relates to the structure of the text and the position of images within; the second is the synchronic one which endeavours to affiliate the text to its cultural milieu and the poetic trends.

Keywords: Sacrifice Wine; Journey Wine; Lust Wine; Norm; Image; Poetic Self; Intellectual Meanings.

*Assistant Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, University of Tishreen, Lattakia, Syria
**Postgraduate Student, Faculty of Arts and Humanities, University of Tishreen, Lattakia, Syria.

مقدّمة:

إذا حاولنا عرض **أشعار الخمر في العصر الجاهلي،** فإنّنا لا نجد شعراً يختلف بين شاعر وآخر ، فالموضوعاتُ، والأوصاف ذاتُها تتكرر على اختلاف شعرائها، فهي خمر متناسخة، لا يكاد يختلف وصفها عند شاعر وآخر. وقد ذهب معظم النقاد والدارسين، إلى أنّ مفهوم الخمر لم يتبلور إلاّ في الشعر العباسي، فأدّى ذلك إلى تقويض مفهوم الخمر عند الجاهليين، بما يتوافق مع الخمر العباسية، متناسين ما قدّمته الخمر الجاهلية من معانٍ شقّت الطريق، لكلّ الشعراء الذين أرادوا الخوض في الشعر الخمري .

كما قام معظم النقّاد بإطلاق أحكامهم على الخمر الجاهلية بشكل ينسجم مع واقعهم الحياتي من جهة، وواقع الشاعر من جهةٍ أخرى، فتعاملوا معها على أنها إحدى المواد الاستهلاكية التي يتناولها الإنسان الجاهلي، كي يخفف من أعباء الحياة التي تثقل كاهله؛ لذا وجدنا أنفسنا أمام خمر فقدت كلَّ محتوًى إبداعيٍّ ، فبَدَتْ عاجزةً، لا تستطيع تقديم أيِّ معنًى إنسانيٍّ.

نحن نزعم بأنَّ الشعراء الجاهليين، قدّموا لنا خمرتهم في بيئة خالية من أيّ تعقيد اجتماعي، أو فلسفي، أو علمي، لكنّنا نزعم أيضاً بأنّهم تحدّثوا عن الخمر من وجهتين ؛ وجهة واقعية تتناول الخمر من حيث هي مادّةٌ يستهلكها الإنسان الجاهلي، فوقفوا عند شكلها، و تأثيرها في الشاربين، كما وصفوا لنا المجلس الخمري، بعناصره كلِّها، بدءاً بالخمار، و انتهاءً بالجواري. أمّا الوجهة الأخرى، فقد وقفوا عند الخمر بوصفها وسيلةً للتعبير عن خوالجهم النفسيّة من جهة ، وما يجول في فكرهم من قضايا رغبوا في إدراك جوهرها؛ لذا حمّلوا الخمر أفكارهم و تطلّعاتهم، يريدون تجسيدها في واقعهم . أليست هي الخمر التي تعلّقت بها قلوب الجاهليين وعقولهم . أليست هي التي استبدّت بعقولهم، فجعلوا لها مجالسَ وسقاةً وخدماً ومغنياتٍ وراقصاتٍ، وزيّنوها بالرياحين، كأنها مَلكة ؟!.

أهميّة البحث وأهدافه:

يُجمِعُ معظمُ الكُتّاب، والنقّاد على أنّ الأعشى ألمَّ بجميع شؤون الخمر، وأحوالها، وألوانها، وتشابيهها، فضلاً عن وقوفه المتأنّي عند الكأس والندامى والساقي والمجلس والبائع1، فكان مثالاً يُحتذى به للشعراء من بعده، حتى قيل إنّ الأعشى، أشعر الجاهليين إذا طرب2، "يقصدون إذا شرب الخمر ووصفها، وهو وصف يفيض بالحيويّة، إذ يجسّم فيه بيئتها، ومجالسها، وما يُنشَر فيها من الورود، والرياحين، وما يقوم فيها من السقاة والمغنين" 3 ؛ فضلاً عن الإماء اللائي يلبسْنَ الشفوف الرّقيقة.

وقيل عن الأعشى أيضاً إنّه صنّاجة العرب، و قد سُمّي بذلك لكثرة مراودته مجالس الشّراب، والطرب وتَغنيّه بالمرأة، والخمر، والمتعة! فضلاً عن تفوّقه في الموسيقا التي اختارها لشعره. وقيل عنه: إنه شاعر الخمرة وزعيمها في الشعر الجاهلي، ويتأتّى فضل الأعشى في ميدان الخمر, من عشقه للخمر, حتى بلغت مرتبةً كبيرة من التعظيم والتقديس, فقد استطاع أن يخلق عالماً شعرياً يجسد من خلاله طاقاته الروحية والإبداعية والفكرية.

---

1 – يُنظَر : فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب ، د. إيليا حاوي : 30–41 . و يُنظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د.محمّد مصطفى هدارة : 475 .

2 – يُنظَر: الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني، مصوّر عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة و النشر، بيروت، الجزء التاسع: 108

3 – العصر الجاهلي ، د. شوقي ضيف : 355.

لقد أطال الأعشى في الخمر – كما يرى "**محمد محمد حسين**" – وفصَّل فيها، وافتنّ في وصفها ووصف مجالسها ، وليست الإطالة والتفصيل هي كلّ ما يميّزه عن غيره من الشعراء الجاهليين . فهناك مزيّة أخرى لعلّها أكثر أهمّيّة ، وهي أنّ الأعشى قد اصطنع في خمرياته البحور القصار التي تلائم ما يصور من ألوان المجون والخلاعة"4. فهو يعيد تفوّق الأعشى إلى الموسيقا التي اختارها لخمرته، ومجالسها وأدواتها. فضلاً عن كون الوصف، هو المعيار الرئيس الذي يتفاضل به مع الشعراء الآخرين.

وقد وجد "**حسين الواد**" أنّ بعض الدارسين يرون " أن الخمرة كانت همّاً للأعشى أكبر ومطلباً أسمى يجد في التماسها باذلاً فيها كلّ شيء ، يشربها في جميع الأوقات ، وعلى امتداد أيام عديدة مسترسلة ، ويرتّب لها المجالس في الحوانيت، والأديرة، والبساتين، والأرياف، وينادم عليها في مجالس الملوك والأمراء بالحواضر التي يتردد عليها لمدح أعيانها "5 و قد جعلوه مدمناً لها.

و يحكم" **إيليا حاوي**" بأنّ الأعشى تفوّق على أقرانه في أحاديث الخمر، ولكنّه لم يتصدَّ " للخمريات بقصيدةٍ مستقلّة، مُنفردة ، بالرغم من إدمانه إيّاها وشهرته بها . بل كان يتناولها في قصائد يهدف فيها إلى أغراض شتّى، خاصة المدح الذي لا تقل شهرته به عن شهرته بها"6.

فالبحث **لا يهمّه** أنْ تصبح الخمر غرضاً لذاتها، بل تهمّه تلك الومضات التي تعتري الشاعر الجاهلي، فيُخرِجها ضمن سياقاته الشّعريّة، والتي تختزن فكره الخمري المبطّن في لا شعوره .

كما **رأى البحث** أنّ معظم النقاد، قد استقوا آراءَهم من واقع الأعشى الحياتي، و لم يكلّفوا أنفسهم عناء البحث، والتقصّي في جوهر الشعر الخمري عند الأعشى، مكتفين بما جمعوه من أخبار، قال بها الأقدمون عنه. ونحن إذا اقتنعنا بما أفاض به النقاد عن الخمر، نكون قد ظلمنا هذا الغرض الشعري، و ظلمنا الأعشى أيضاً الذي طالما استوقفته الخمر وتأثيرها، وكلّ ما يحيط بها؛ لذا **لم يقف البحث** عند الخطوط العامّة للخمر، بل وقف عند السّياقات التي أنتجت معانيها ، كما وقف عند الصّور، وما منحته من دلالاتٍ تعزّز النّمط الذي وردت فيه، من دون أنْ نولي أهميّةً لحسيّة أوصاف الجاهليين للخمر. و **نؤكد أنّ التعامل مع الشعر الجاهلي**، يجب ألاّ يخضع إلى تلك الأحكام المستمدّة من البيئة الاجتماعيّة التي يعيشها الشعراء، و إلاّ وجدنا أنفسنا أمام شعرٍ خالٍ من أيّ صِبغة إبداعية.

منهجيّة البحث:

سنقوم بمحاورة النصوص، و كشف أسرارها، معتمدين على الدّراسة التحليليّة التكامليّة التي تجعل من النصّ نقطة الانطلاق" ويكون المنهج المقترح للولوج في عالمه، هو الإجراء النقدي الذي يناسب هذا العالم، و يقدر أن يشرحه، ويفسّره، ويحلّله، ويعلّله، وليس الإجراء الذي يفرض على العالم خطاباً، أو متناً "7. إنّنا في حاجة إلى نقد، يختار النّصُّ فيه الطريقةَ التي تناسبُ ما يحويه من أفكارٍ، ودِلالاتٍ، لا إلى نقدٍ يفرض المنهجُ فيه إجراءَه على النصّ . إنّ القراءة النصيّة، تجعلنا نفترض أنّ التعامل مع المشهد الواحد بما يحويه من عناصر مكوّنة له، ليس إلاّ تعاملاً مع علاقات مبطّنة بين هذا المشهد بعناصره ، وغيره من المشاهد بعناصرها أيضاً، و محاولةً للقبض على لا شعور

4 – أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين، دار النهضة العربية، بيروت ، 1972: 15 .

5 – جماليات الأنا في شعر الأعشى الكبير، المركز الثقافي العربي، ط1، 2001 ، الدار البيضاء ، المغرب: 79 .

6 – المرجع نفسه : 27.

7 – المغامرة النقديّة: دراسة أدبيّة، نعيم اليافي، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1992 ،34 .

الشاعر؛ لذا سعينا إلى عدم تجزيء أوصال القصيدة، فحاولنا أنْ نربط المشهد المقتطع بما سبقه، و تلاه من أشعار، كما سعينا –في معظم الأحيان– إلى أنْ يكونَ الاعتمادُ على المشهد المتكامل، لا على البيت الشعري المفرد.

ونشير إلى أنّنا أدرجنا هذه الدراسة التحليليّة، ضمنَ خطَّين متقابلَين؛ الأوّل منهما تعاقبي، يتّصل ببنية النصّ، و موقع الصور منه. و الخطُّ الآخرُ منه تزامني، يحاول ربط النصّ بمحيطه الثقافي، و بالتقاليد الشعريّة.

أنماط الخمر في أشعار الأعشى:

حاول الأعشى –عن طريق شعره– إعادة تشكيل مفردات الخمر من جديد بصياغته الذاتيّة، منطلقاً من المفاهيم والمعتقدات التي يؤمن بها . فالخمر، على الرغم من أنها سائل له مواصفات معروفة، هي ماء الحياة لدى الشاعر ؛ مَن يشربه ، يصبح جديراً بالحياة .

لقد جسّدت خمرته ثورة روحه، وعمق نظرته إلى الحياة والوجود والإنسانية، وحملت في طيّاتها من الإيحاءات والأبعاد، ما جعلها خمراً على جانب كبير من الخصوصية، خمراً يذوب فيها الإحساس بالفكر والروح، وتغدو النفس توّاقةً إلى التطهّر والخلاص، خمراً ترتقي في صفاتها لتحملَ صفاتِ كلِّ ما هو جميلٌ ونقيٌّ .

إنّ خمرَ الأعشى، ليست حاجةً جسدية، ونفسية فحَسْب, بل كانت دافعاً لأفكاره, ومولداً لإبداعه, ومفجّراً لتمرّده على الأعراف الاجتماعية. فهذه خمر تمتلك طاقات تستحق من خلالها أنْ تحملَ صفاتِ النقاء والصفاء والعذوبة، والقدرة على الكشف، وتستحق أنْ تحملَ صفة القداسة، إنها مملكة الحياة, مَن دخلها, دخل عالماً مليئاً بالحبّ والسعادة والجمال، و النشوة , و مَن خرج منها, خرج إلى وجود له أعرافه وتقاليده وقيوده المرفوضة من الأعشى.

النمط الأوّل : الخمر القربان" الذبيح المقدّس":

تظهر الخمر في هذا النمط بمظهر القربان، الذي يُذبَح، ليتطهّرَ الشاعر به ممّا يعتريه من مشاعر ضعيفة مهزومة، سواءٌ أكانت نابعةً من استحضار طيف محبوبته، أم كانت نابعة من مشاعر تنتابه تجاه قومه أم ممدوحه، محاولاً استبدال مشاعرَ أُخرى بهذه المشاعر الضعيفة، فتجعل من الشاعر رجلاً قويّاً قادراً على المواجهة في عالم لا مكانَ فيه للضعيف .

فصورة الخمر الذبيح، هي محاولة استحضارٍ للمشاعر القويّة، وإحياءٍ لها، و ذلك عبر صورة الدّم الأحمر الذي يحمل إشارتَين؛ إشارةً إلى الموت، و إشارةً إلى إحياءِ مشاعرَ، كاد الشاعرُ أنْ يفتقدَها، لولا الخمر، و ما منحت إيّاه من معانٍ و صور.

وسنطلُّ في هذا النصّ، على خمر تمثل **نمط " الخمر القربان (الذبيح المقدّس)** " و إدراج هذا النصّ، ضمن هذا النمط، لا ينفي تداخل بعضٍ من أفكاره مع الأنماط الأخرى، و لكنّنا آثرنا إضاءة أفكار هذا النمط، محاولين الوصول إلى أغوار النصّ الخمري، و اكتشاف معانٍ ذهنيّة جديدة. يقول 8:

أَلَمَّ خَيالٌ مِن قُتَيلَةَ بَعدَما وَهى حَبلُها مِن حَبلِنا فَتَصَرَّما

فَبِتُّ كَأَنّي شارِبٌ بَعدَ هَجعَةٍ سُخامِيَّةً حَمراءَ تُحسَبُ عَندَما 9

---

8 – ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، تحقيق : د. محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة السابعة، 1983 م. ق 55 : 343 ، و هي في المدح.

9 – السخام والسخامية: الخمر السلسة اللينة الهمز في الحلق. العندم:شجر أحمر.

تلتقي المعاناةُ العاطفية أحاديثَ الخمر في هذين البيتين ضمن الإطار الزمني ، فخيال " قُتيلة " لا يظهر إلا في المساء، وكذلك لا يشرب الشاعرُ الخمر إلا بعد هجعة .

لقد تطرّق الأعشى إلى أحاديث الخمر، عندما وجد أنّ حاله التي وصل إليها شبيهة بحال السكران، فكلتاهما تحيط بها التهويمات الخياليّة. خيالٌ لامرأة، أدّى إلى إيجاد خيال آخر منحته الخمر للشارب " تُحسَب عندما " فقد حسب أنّ هذه الخمر قد تحوّلت إلى عندم . فالأعشى بعيدٌ عن الحقيقة، لذا أخذت تتداعى إلى ذهنه خيالاتٌ مستمدة من الخمر، استطاع من خلالها أن يكتسب نوعاً من الثقة، لاستعادة توازنه بعض الشيء، كما نجد أنّ " الخمر، و طعمها تذكّر المرء بحبيبته التي يهوى، و الخمر نفسها التي تؤاسيه من ذكرها و نسيانها" 10 .

و للّون الأحمر دورٌ بالغ الأهميّة في هذين البيتَين؛ إذ يتضاعف تأثيره باقترانه بما يمنحه اسم الأنثى " قتيلة " لتبدو فكرة الموت واضحة جليّة. ثم يقول:

إذا بُزِلَت مِن دَنِّها فاحَ ريحُها وَقَد أُخرِجَت مِن أَسوَدِ الجَوفِ أَدهَما11

ولكن على الرغم من حسّيّة العندم ، و ما قدّمه اللون الأحمر من إيحاءاتٍ، فإنّ الشاعر قد لجأ إلى الخمر مستمدّاً أحدَ معاني الحياة من رائحتها، بعد أن أخرجها " أَسوَدِ الجَوفِ أَدهَما" مشيراً إلى أنّ هذه الخمر محميّة و مصُون من أكفّ اللامسين ، ثم يقول:

لَها حارِسٌ ما يَبرَحُ الدَهرَ بَيتَها إذا ذُبِحَت صَلّى عَلَيها وَزَمزَما12

بِبابِلَ لَم تُعصَر فَجاءَت سُلافَةً تُخالِطُ قِنديداً وَمِسكاً مُخَتَّما13

و نجد أنّ الأعشى دائم التركيز على صفة السيلان، فخمرتُه بابليّة سالت من قبل أن تُعصَر ، إنها خمر من أجود الخمور، خمرسخاميّة بُزِلت ، وذُبحت ، فَجَرَت كدم الذبيح ، وهنا نقع على معنى تراكمي للمعنى المعجمي يتأتى من خلال إشارة أسطورية تحكي قصة القرابين المقدّمة تقرّباً وغفراناً واعترافاً بالذنوب وتكفيراً عن الخطايا. ونعتقد بفاعلية هذا المعنى، لما قام به الحارس؛ فقد "صلى عليها وزمزما" وهي شعائر كان يقوم بها الإنسان القديم تقرّباً و زُلفى . فالكلُّ مُجتَمِعٌ لتقديم هذا القربان فِديةً وغفراناً وتضرّعاً. و نظراً لمكانة هذه الخمر، استدعى الأعشى عنصرين مهمّين، لتهيئة الخمر من أجل إنجاز مهمّتها، فقد جعل لها حارساً يذود عنها، ويترقبها " ما يبرح الدهر بيتها " فللحارس دورُه في حماية هذه الخمر ، من أيّ معطّل لهذا الطقس العبادي؛ لكي تكون عمليةُ الذّبح أكثرَ طهارةً ، وأعظم شأناً . كما أنّ للفظة " الدهر" دوراً عظيماً، في إضفاء صفة الديمومة على الخمر، هذه الصفة تنتقل إلى (الحارِس) بمجرد حفاظه على الخمر من أي دنس، أو أي خطر.

كما جعل الأعشى للخمر ساقياً، يطوف بها في بيتٍ اصطنعه لها كمكان آمن . يقول:

يَطوفُ بِها ساقٍ عَلَينا مُتَوَّمٌ خَفيفٌ ذَفيفٌ ما يَزالُ مُفَدَّما14

بِكَأسٍ وَإبريقٍ كَأَنَّ شَرابَهُ إذا صُبَّ في المِصحاةِ خالَطَ بَقَّما15

---

10 – الخمريات في العصر الأموي، رجاء أحمد صادق، مؤسسة الانتشار العربي،بيروت، الطبعة الأولى، 2009 م: 46 .

11 – بزل الخمر: ثُقب إناءها بالمبزل. أسود الجوف : هو الدنّ لأنه مطلى بالقار (الزفت) أدهم: أسود. ذبحت أي ثُقب إناؤها فسالت منه كما يسيل دم الذبيح.

12 – ذبحت أي ثُقب إناؤها فسالت منه كما يسيل دم الذبيح.زمزم : تراطن على الأكل وهو صامت لا يستعمل لساناً ولا شفة , ولكنه صوت يديره في خياشيمه، فيفهَمُ بعضهم عن بعض. صلّى عليها: أثنى عليها وباركها .

13 – بابل: مدينة قديمة قريبة من بغداد والعرب ينسبون إليها الخمر والسحر. السلافة: ما تحلّب وسال قبل العصر وهو أجود الخمر. القَند والقِنديد : عسل قصب السكر (فارسي معرب) والقنديد كذلك العنبر والكافور .المسك: طِيب يُتّخذ من دم الغزال . ختم الإناء: سدّه بالطين ونحوه.

14 – متوّم: قد وضع في أذنيه تومتين واللُّومة : اللؤلؤة. ذفيف: مسرع .مفدم: قد شدّ على أنفه وفمه خرقة بيضاء

15 – المصحاة: قدح من فضة يشرب به , البقم: شجرساقه أحمر يصبغ به.

فللساقي دورُه بعد عملية الذبح ، وذلك بالطواف بها، وتقديم شرابها الطاهر، إنه شراب الحياة ؛ لذا لا بدّ أن تتسم هذه الخمر بالسلاسة، لكي تكون سائغة للشاربين. فليس للحارس بعد عملية الذبح ، إلاّ أن يصليَ تبركاً بهذا القربان ، وما للساقي سوى الطواف بها وتقديمها ، وما للشاربين سوى شربها والاغتسال بها من الخطايا ، والتقرب ممّن يستوجب التقرّب منه .

وليس من شأن الحارس الغوصُ فيها أو شربها ، بل مهمّته تكمن في دفع الخطر عنها؛ لأنها خمر نفيسة، يحرسها من الخارج .

فالشاعر دائمُ التركيز على صفة الحُمْرة ، التي تشعرنا بأننا في جوّ معركة، وخاصة بوجود (العندم) في إشارة منه إلى المادة التي تصطبغ الأيدي بها قبل خوض المعركة، وأيضاً بوجود الأدهم، الذي يميل إلى السواد الذي يرمز إلى الشعور بالخوف من المجهول .

و نتساءل:

هل للخمر الذبيح " القربان " علاقة بالمرأة قتيلة ؟ .

إنّ هذه الخمر القربان ، تومئ إلى أنها لم تكن لتوجد، لولا غياب المرأة ، فلا يمكن لكلتيهما أن توجدا في زمان ومكان واحد، فالخمر تُذبَح أمام شاربيها، فتتطاير منها قيمٌ روحانية ، يسجدون لها ومعهم الحارس أيضاً. إنهم يستدعون شيئاً ما، ويحاولون استحضاره واستجلاب خيراته، إنه شيءٌ مقدّسٌ، نفيس نفاسة قربانه، شيءٌ انقطعت حبائل الوصل معه، ويحاول الشاربون وصله، لذا فإنّ هذه الخمر لا تبذل نفسها إلّا لمَن يستحقها.

إنه طقسٌ استحضاريٌّ للمرأة ، و هو استحضارٌ روحيٌّ (نفسي) ، لعلّها تتشكّل أمامه، متجاوزةً حدود الزمان والمكان، ولا يكون ذلك إلاّ من خلال الصلاة عليها ، ثمّ شربها لأنها تمثّل ماء الحياة، يتطهّر شاربها ممّا يعتريه من همومه، و مما يحمله من ذنوب و آثام، جعلت " قتيلة" تنصرف عنه. و لا يكون ذلك أيضاً إلاّ في مجلسٍ تتزركش ألوانه بأنواع الرياحين ، كأننا أمام قتيلٍ يحيا من جديد ، على أنغام آلات الطرب والموسيقا التي تغذي الروح وتنعش الحياة . هو إحياءٌ يشهد عليه فتيان صدق لا ضغائن بينهم؛ وذلك بعدما شربوا دم الذبيح ، يقول الأعشى :

لَنا جُلَّسانٌ عِندَها وَبَنَفسَجٌ وَسيسِنبَرٌ وَالمَرزَجوشُ مُنَمنَما16
وَآسٌ وَخيرِيٌّ وَمَروٌ وَسَوسَنٌ إذا كانَ هِنزَمنٌ وَرُحتُ مُخَشَّما17
وَ شاهَسْفَرِم وَالياسَمينُ وَنَرجِسٌ يُصَبِّحُنا في كُلِّ دَجنٍ تَغَيَّما18
وَ مُستُقُ سينينٍ وَوَنٌّ وَبَربَطٌ يُجاوِبُهُ صَنجٌ إذا ما تَرَنَّما19
وَفِتيانُ صِدقٍ لا ضَغائِنَ بَينَهُم وَقَد جَعَلوني فَيسَحاهاً مُكَرَّما 20

فالخمر جعلت من شاربيها "فتيان صدق"، في إشارةٍ منه إلى تطهّرهم من جميع آثامهم و ذنوبهم، فهذا التطهّر وسمهم بالفتوّة المقترنة بالصدق، ليشهدوا إحياءً لقتيل كان قد ذُبِحَ، و هنا تتماهى الخمر مع المرأة لتصبحا ذاتاً واحدة ،

---

16 – الجلسان والبنفسج والسيسنبر والمرزجوش: أنواع من الورود والرياحين وكلها أسماء فارسية معربة. نمنمه: زخرفه ونقشه وزينه.

17 – الآس والخيري والمرو والسوسن: كلها أنواع من الرياحين. الهنزمن : عيد من أعياد النصارى (معرب) مخشم : سكران شديد السكر. خشّمه الشراب : تثورت رائحته في خيشومه فأسكرته.

18 – الشاهسفرم والياسمين والنرجس: أنواع من الرياحين. يوم دجن: غائم كثير المطر، والدجن أن يسد الغيم أقطار السماء.

19 – المستقة: آلة يضرب عليها (معرب) . الونّ : ضرب من آلات الطرب الوترية. البربَط: هو المزهر أو العود , وكلها فارسيّ الأصل. الصَّنج: عند العرب دوائر من النحاس تثبت في أطراف الأصابع ويصفق بها على نغمات موسيقية وهو عند الفرس آلة موسيقية ذات أوتار.

20 – فيْسَحَاه : ورد في المعاجم : هو يمشى الفسيحى أي يباعد في خطوه .

بعد أن كانتا على طرفي نقيض، فيصبح كلّ منهما مكمّلاً للآخر، وداعياً له، و لا يكون ذلك إلاّ من خلال النشوة الروحيّة التي تمّت بينهما.

ولِتتبّع الدلالات و المعاني الذهنيّة المجرّدة في نمط "الخمر الذبيح"، نقف عند نصّ آخر، يقول في مطلع القصيدة 21:

أَتَهجُرُ غانِيَةً أَم تُلِمْ أَمِ الحَبلُ واهٍ بِها مُنجَذِمْ
أَمِ الصَبرُ أَحجَى فَإِنَّ اِمرَأً سَيَنفَعُهُ عِلمُهُ إِن عَلِمْ

يبدأ الأعشى نصّه بذكر خليلته، فهو متردّد في أمرها، يحدّث نفسه متسائلاً، هل يهجرها أم يزورها أم يصبر أم ..؟ هنا يقدم مجموعة من الحِكم التي استمدّها من تجاربه، و يقرّر في الأبيات – من البيت الخامس حتى التاسع– أنّ ما كان يعيشه، هو طيش الشباب، و عقاب امرئ قد أَثِمَ ، ثم يصوّر تأثير نظرتها، و ابتسامتها، فيتساءل كيف السبيل إليها الآن، و قد نأت عنه ؟ إلى أن يصل إلى المشهد الخمري في البيت العاشر، ففي هذا النصّ، نشمُّ رائحة القداسة، تخرج من هذه الخمر التي نعتها الأعشى بـ " صهباء " فاللون الأحمر يحمل مدلولات كثيرة في الوجدان العربي، و من هذه المدلولات ، تصوير الخمر بأنها ذبيحٌ يُقدّم دمه تقرباً و زُلفى. فصفة "صهباء" تومِئ إلى أنّ عمليّة الذبح قد أُنجِزت بالفعل. فالأعشى لا يهتمّ بعمليّة الذبح، و إنّما يركّز على ما تقدمه هذه العمليّة من إمكانات ، لذا فهو يبدأ من نهاية عمليّة الذّبح، يقول :

وصهباءَ طاف يهوديـُها وأبرزَها وعليها خُتُم 22

وقد خصَّ الأعشى خمرته بصفته (العذرية) وذلك في قوله " وعليها خُتُم " ليدلّلَ على هذه الطهارة التي ارتسمت بها الخمر ؛ وهنا تتعدّى الخمر ذلك التأثير الذي يذهب بالعقل .

أمّا(صاحب الخمر) فقد جعله الأعشى يهودياً , وإذا أردنا معرفة السبب؛ فإنّ " شوقي ضيف" يقول في معرض حديثه عن الخمر:" وأكثر من كان يتجرُ بها اليهود والنصارى"23، ونظن أن هذا التفسير صحيحٌ؛ لأنّ معظم اليهود والنصارى كانوا أهل مُدن . و يمكن لنا أن نفسّره من خلال القراءة الشعرية التي قد تمتزج بالواقع، و قد تتفوّق عليه عبر رؤية تأملية استشرافية خاصّة بكلّ شاعر؛ فقد وجدنا أنَّ الأعشى يتمتع بثقافة رفيعة، جعلته يرى أنّ الرجل اليهودي, هو الملجأ الذي يمكن أن يحمي الأعشى خمرته عنده , لأن هذا اليهودي "صلّى على دنّها وارتسم" ، يقول :

وقابَلَها الريحُ في دَنّها و صلّى على دَنِّها وارْتَسَمْ24

فهذا اليهودي يصلّي عليها، ويتعوّذ . إنّ هذا كله يومئ إلى أنّ هذه الخمر تخرج عن معناها المعجمي لتكسب دِلالةً جديدة ، إذ نقع على خمر مقدّسة هي بمنزلة ماء الحياة من شربها، عاش حياةً مُلْؤُها الطهارة.

ويقبل الأعشى على هذا الشراب المقدس ليرتشفه بتمهل إمعاناً بمذاقه واستغلالاً لطاقاته . و يستحضر الشاعر عنصر الريح، و لهذا الاستحضار أهميّته المرتبطة بالنذور التي كان يقدّمها الجاهليون، يقول " جواد علي" : "ومن نذورهم في الجاهلية، أنهم كانوا ينذرون بألاّ تهبّ الصبا، حتّى يذبحوا أو ينحروا" 25. و ربما كان رأي " جواد علي"

---

21 – ق4 : 85 . و هي في مدح قيس بن معد يكرب .

22 – الصهباء : الخمر. والصهبة هي الحمرة .

23 – العصر الجاهلي : 70 .

24 – صلى : برك ودعا . ارتسم الرجل لله : كبّر ودعا وتعوذ .

25 – المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين بيروت، و مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الأولى، 1970: 6: 191 .

يفسّر لنا سبب استدعاء الشاعر عمليّة الذبح. و من جهةٍ أُخرى؛ نجد أنّ للريح دوراً بارزاً في تعزيز قدرة هذه الخمر، وكأنّنا أمام فعل التزاوج تقوم به الريح، التي تحتلّ موقع الذكورة، بدليل الفعل" قابَلَها" هذا الفعل يقوم به، مع الخمر (الأنثى)، ممّا يؤدي إلى نشر رائحة الخمر، و التي تمثّل رائحة الحياة، في أحد معانيها. فهذه الرائحة المنبعثة من الخمر، جعلت هذا اليهودي، يصلي عليها و يرتسم. إنّنا نعتقد –هنا– أنّ إعمال الريح بالخمر، شبيهٌ بإعمال الريح بالمرأة بحيث تنتشر رائحتُها في أرجاء المكان26. و يتابع الأعشى– في النصّ المدروس– قائلاً :

تمزّزْتُها غير مستدبرٍ عن الشَّرب أو منكرٍ ما عُلِم 27

فالخمر لم تكشف عن نفسها إلاّ بعدَ أنْ ذُبِحت "صهباء" حيث برز لونها الأحمر، و قد ظهرت بمظهر الخمر المقدّسة، فقام صاحبها بالصلاة عليها؛ لذا لا يمكن للأعشى أن يحتفظ بسرّها وحيداً، بدليل قوله" أو منكرٍ ما عُلِم" فللخمر سرٌّ أدركه الأعشى خير إدراك، وهو لا ينكر ذلك أمام الندماء " تمزّزْتُها غير مستدبرٍ عن الشرب " .

و يتقاطعُ تركيبُ" أو منكر ما عُلِم" مع تركيبٍ آخر، نجده في مطلع القصيدة، وهو" فَإِنَّ اِمرَأً سَيَنفَعُهُ عِلمُهُ إِن عَلِم" فالعلم يدخل في نطاق إدراك جوهر الشيء و معرفة كنهه، مقارنةً بالمعرفة التي تحيط بالشيء من الخارج من دون الغوص في جوهره . إذاً هناك علم يجهله كثيرٌ من الناس، وهو ينبع من خلال التمزّزِ بالخمر التي امتلكت أوصافاً خاصّة تتميز بها عن سائر أنواع الخمر، إلاّ أننا لا نقع في هذا النّص على أيّ كشفٍ لجوهر الخمر، و كأنها دعوةٌ من الأعشى للبحث عن مثيل لها، ودفعٌ لشربها بطريقةٍ، تجعل الشاربَ يستمتع بطعم كلّ رشفة، بخلاف أختها من الرشفات. ثم يقول:

وأبيضَ كالسَّيف يُعطي الجزيل يجود ويغزو إذا ما عَدِم
تضيَّفتُ يوماً على ناره من الجود في مالِه أحتكِم

ونُفاجأ بأنّ الأعشى يتحدّث – في هذَين البيتَين–عن الكريم، واصفاً إيّاه بـ" أبيض" فالبياض يرتبط بالكرم في الوجدان العربي. و عندما يريد أنْ يشبّه هذا الكريم، فإنّه يستحضر صورة " السّيف" مانحةً إيّاه دوراً غير مألوف، يتمثل بقوله "ويغزو إذا ما عَدِم" فالكريم يجود بما لديه من أعطيات، و لكنّه يستخدم قوّة السيف للحصول على ما يستطيع أنْ يجود به. فالكريم لا يُسمّى كريماً بماله فحسب، بل لقوّة السّيف دورٌ عظيمٌ في منحه السيادة على الآخرين؛ لذا فالكريم محاربٌ أيضاً. و هنا نلمح إشارةً اجتماعيّة إلى طبقة الكرماء من سادات القوم ، الذين يلجأ إليهم الأعشى ، و يحتمي بهم؛ لأنه يعلم أنّ المال هو الحاكم، و هو الذي يجعل الكريم كريماً، حتى لو كان السّيف هو الجالب لهذا المال .

ونجد أنّ الكريم، ظهر في نهاية المشهد الخمري– خلافاً لباقي قصائد الأعشى التي تتناول الخمر– مقابل اختفاء واضح للخمر ، و ما يبرّر ذلك هو محاولة إبراز دور المال في المجتمع الجاهلي،و هنا نستشف خبرة الأعشى الحياتيّة، إذ إنه يرى أنّ التمتع بخمر صهباء، مقدّسة، يُصلّى على دنّها، لا يتحقّق إلاّ بوجود أشخاص أسخياء ، أقوياء، لهم حضورٌ بارز، و لو بقوّة السّيف، فالأعشى يحاول أنْ يجعلَ الواقع نُصبَ الأعين، و عدم الانجراف وراء الأحلام التي لا طائل منها .

---

26 – ق6 : 105. يقول الأعشى مشبّهاً رائحة المرأة برائحة الروضة:
ما رَوضَةٌ مِن رِياضِ الحَزنِ مُعشَبَةٌ خَضراءُ جادَ عَلَيها مُسبِلٌ هَطِلُ
يَوماً بِأَطيَبَ مِنها نَشرَ رائِحَةٍ وَلا بِأَحسَنَ مِنها إِذ دَنا الأُصُلُ
27 – تمزز الشراب : تمصصه قليلاً قليلاً .

فضلاً عن ذلك فإنّنا نلمح إشارةً جماليّة ، تتمثّل بشخصيّة هذا الكريم ، الذي غدا نبيلاً من جهة،و فارساً يحصل على ما يريد بقوّة السيف. و نضع أيدينا على معيار الجمال الذي تختار به الأنثى حبيبها؛ فالنّبل ،و الفروسيّة، سمتان لابُدّ للإنسان أن يتحلّى بهما، ليصبح جميلاً .

و لمتابعة الدلالات، والمعاني التي يقدّمها نمط " الخمر الذبيح"، لا بُدَّ من الوقوف عند مشاهد خمريّة أخرى، و منها هذا النصّ، يقول في مطلع القصيدة28:

ما تَعيفُ اليَومَ في الطَيرِ الرَّوَحْ مِن غُرابِ البَينِ أَو تَيسٍ بَرَحْ

يبدأ الأعشى نصّه متشائماً من الحياة ، ثم يشير إلى مرض ممدوحه (إياس بن قبيصة الطائي)و إلى تقلّب الدنيا بالناس، و انتهى إلى مدحه متمنّياً له الشفاء ، حتى بلغ البيت الثامن و العشرين، ثم وصف الصحراء في أربعة أبيات ، إلى أن يصل إلى المشهد الخمري عند البيت الثالث و الثلاثين.

و إذا أردنا البحث عن المثيرات التي اعتمدها الأعشى وهو يقدّم لنا خمرته في هذا النصّ؛ نلحظ أنّ الحركة هي أهمّ هذه المثيرات التي حاول الأعشى من خلالها، وصف خمرته؛ بـ" شمول "، يقول :

وَشَمولٍ تَحسِبُ العَينُ إذا صُفِّقَت وَردَتُها نورَ الذُّبَحْ29

مِثلُ ذَكيِ المِسكِ ذاكٍ ريحُها صَبَّها الساقي إذا قيلَ تَوَحْ30

لقد توحّدتِ الخمر بهذه الريح، فامتزجت ببرودتها، وأصبحت صفة دائمة لها ، ويتأتّى دور صفة "شمول" في كشف المذاق اللذيذ للخمر، وكشف لونها الذي يشبه زهرة الذبح الحمراء .كما كشفت عن رائحتها، التي تشبه رائحة المسك الذكية؛ فضلاً عن أنّ المسك مستخرج من دم الغزال ، الأمر الذي يفضي إلى أهمية اللون الأحمر، وعمق دلالته، إذا ما اقترن بالخمر ، في إشارة إلى الموت المنبعث من رؤية هذه الخمر ، فالموت هو موت يتكشّف عبر رؤية ما يختلج هذه الخمر من ريح فظهرت الخمر بهيئة " نورَ الذُّبح " و" ذكي المسك " .

فالخمر في ظاهرها، تستدعي شعور الموت ،و لكن بشربها يحيا الشارب. انظر كيف طلب الشاعر من الساقي أن يسرع في عمله، " توحّ"، فالموت متربّصٌ بالشاعر ، و الساقي كان بمنزلة المنقذ للشاعر ، ممّا يحوطه من موت، من خلال جلب خمرته. فإذا بجريان الخمر في جسد الشاعر، هو جريان للحياة في أوصاله، فالخمر في جوهرها إحياء للمشاعر المنهزمة أمام الموت المتشكّل عبر الصورة. فهي في مظهرها موت ، وفي جوهرها حياة ، وفي كلا الحالين لا يوجد إلا الشعور مترجماً لهما، ومعبراً عنهما .

إنها خمر تتفوّق على نفسها، لتغدو خمراً غير عاديّة، فعلى الرغم من كثرة الكؤوس التي تغرف منها ، فإنها سرعان ما تتلاشى أمام هذه الخمر ، فاقدةً القدرة على النيل منها، يقول :

فَتَرامَت بِزُجاجٍ مُعمَلٍ يُخلِفُ النّازِحُ مِنها ما نَزَحْ31

وَإذا غاضَت رَفَعنا زِقَّنا طُلُقَ الأَوداجِ فيها فَانسَفَحْ32

وَنُسيحُ سَيَلانَ صَوبِهِ وَهوَ تَسياحٌ مِنَ الراحِ مِسَحْ33

---

28 – ق36 : 291 ، هذه القصيدة في المدح .

29 – شمل الخمر : عرضها للشمال لتبرد، والشمول والمشمول الخمر البارد التي ضربتها ريح الشمال فبردت. الذُّبَح : نبت حلو يُؤكل، وله زهرة حمراء.

30 – ذكا المسك : سطع ريحه. توحّ: فعل أمر من توحّى أي أسرع واستعجلَ.

31 – معمل: أي دائم العمل. أخلف لأهله: استقى لهم ماء، وأخلف فلان أهوى بيده إلى سيفه ليسلّه.

32 – غاض الماء: جف وغار. الطلق: المحلول. الأوداج: جمع وَدَج : وهو عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح، يقصد به هنا فم القربة .

إنّ هذا التصوير الذي يقدّمه الأعشى شبيهٌ بتصوير هجوم الكلاب على الثور– و غيره من الحيوانات البريّة– وتكاثرهم عليه ، من دون أن ينالوا منه ، و هذا يدفعنا إلى ضرورة إعادة صياغة سياقات الخمر من جديد ، لكي يكون إدراكنا لها إدراكاً أقرب إلى الصواب من جهة، وأبعد عن تلك السياقات النقدية التي تآكلت أفكارها ، فكادت عقولنا تتوقف عن إعمال نشاطها تجاه أغراض اعتُقِدَ أنها نالت ما تستحق من الدراسة .

فالتناوب بين الغارفين من إناء الخمر يقدّم لنا معنًى جديداً يتعدّى فكرة الديمومة التي تتصف بها الخمر، ليصلَ إلى استمرار هذا الغرف من الخمر؛ و من بعد امتداد المدّة الزمنية ، فتتعزز لدينا فكرة الصمود، وبالتالي القوة التي تتصف بها الخمر ، ففكرتا الصمود والقوة تتيحان للخمر أن تكون قديمة ومعتّقة، لكي تستمرَّ في ديمومتها . فحركة الخمر، وهي مندفعة من فم الزقّ، شبيهةٌ باندفاع الدّم من الذبيح ، فنحن هنا أمام صورة تستدعي الموت من جميع جوانبها ، و يتابع الأعشى فيقول :

تَحسِبُ الزِقَّ لَدَيها مُسنَداً حَبَشِيّاً نامَ عَمداً فَانبَطَحْ34

ولكي يدلّل الأعشى على أنّ المقصود من كلامه ليس إبراز دور الزقّ و تفضيله على الخمر ، نراه يشبّه الزقّ الأسود– وهو ملقًى بجانب الناجود – بالعبد الحبشي الذي انبطح على الأرض، وما هو بنائم ، فانبطح أمام عظمة الخمر، وجبروتها .

فالمقصود من إخضاع الخمر للزقّ، هو إبرازُ أنا الشاعر، ورفع قدرتها، فوق عظمة الخمر وسطوتها ، بدليل تشبيه الزقّ بالعبد الحبشي.

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن مجلس الخمر ، فإذا بالنديم يبكّر إلى الأعشى، أو يبكر الأعشى إليه ، لكي يشربا الخمر، يقول :

وَلَقَد أَغدو عَلى نَدمانِها وَغَدا عِندي عَلَيها وَاِصطَبَحْ
وَمُغَنٍّ كُلَّما قيلَ لَهُ أَسْمِعِ الشَّربَ فَغَنّى فَصَدَحْ

ويلفتنا ارتباط شرب الخمر بالصباح الباكر ، وكلُّنا يعلم أنّ الصباح مرتبط بولادة يوم جديد ، له عملُه وظروفه. وذلك يدفعنا إلى القول إنّ الخمر هي شغله الشاغل . فكما للمرء عملُه الذي يتقوّت من خلاله ؛ فإنّ للأعشى خمرتَه التي يتقوّت بها .

ويبرز في هذه الأبيات دور المغني في مجلس الخمر ، كمثير حسّي يعتمد على صوته للتأثير بالآخرين ، فصوت المغني هو الوجه الآخر للخمر، يرتبط تأثيره بتأثيرها، فلا بدَّ من أن يرفع صوته ويصدح ، لذلك" قيل له أسمِع الشّرْبَ" ليكون تأثيره مشابهاً لتأثير الخمر . ويتماهى دور الساقي والمغني ، ليشكلا أداةً في يد الآمر ، وكأنهما الزقّ نفسه الذي رفعه الشاعر ، فانهمرت الخمر منه .و يتابع الأعشى ، فيقول :

وَتَثَنى الكَفَّ عَلى ذي عَتَبٍ يَصِلُ الصَوتَ بِذي زيرٍ أَبَحْ35
في شَبابٍ كَمَصابيحِ الدُجى ظاهِرُ النِعمَةِ فيهِم وَالفَرَحْ
رُجُحُ الأَحلامِ في مَجلِسِهِم كُلَّما كَلبٌ مِنَ الناسِ نَبَحْ 36
لا يَشِحّونَ عَلى المالِ وَما عُوِّدُوا في الحَيِّ تَصرار اللِّقَحْ37

---

[33] – أساحه أجراه.الصوب : مصدر من صاب المطر إذا انصب ونزل.مسح: سائل من سح الماء والمطر والدمع سال .

[34] – الضمير في لديها: عائد على الباطية .

[35] – العتب : العيدان المعروضة على وجه العود، منها تمتد الأوتار إلى طرف العود. الزير: الدقيق من الأوتار و أحدُها. الصوت الأبح: الخشن الصوت.

36 – الأحلام : العقول .

37 – يشحّون: يبخلون. اللقح: جمع لقحة، وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. صرّ الناقة: شدّ ضرعها بالصرار، حتى لا يرضعها ولدها، أي أنهم لا يصرون إبلهم بخلاً بألبانها .

فالأعشى يصف لنا ما أبصره في أصابع المغني من اختلاف في حركاتها ، فيؤدي ذلك إلى اختلافٍ في الصوت الصادر من آلة الطرب التي يعزف عليها. فإذا بصوت يعزّز من تأثير صوت المغني ، ويؤجّج من تأثير شرب الخمر ، وإذا بشباب" كمصابيح الدجى ، ظاهر النعمة فيهم والفرح" . " و الحقّ أنّ شرب الخمر، كان عند الجاهليين ، مظهراً من مظاهر السيادة و الكرم، فالعربي إذا شرب، أو طرب، أشرك صحبه في شُربِه و طربه، و تمدّح بهذا و افتخر"38 .إنها الحياة التي يريد الشاعر أن يعبّر عنها ، من خلال فئة من الناس لا يختلف شكلها عن مضمونها ، فهؤلاء الناس يتحلَّون بالشباب ، ويترقرق في وجوههم ماء النعمة والبِشر ، كأنهم مصابيح تضيء في الظلام ، يكسو مجلسهم الوقار، حين يستخفّ الجهلُ السفهاءَ من الناس ، فينبحون كما تنبح الكلاب .

وكذلك فإنّ هذه الفئة تذلل المالَ لخدمة الآخرين ، فالبخل ليس من شيمهم ، تلك هي صفات مَن يريد الأعشى أن يجعلهم أهلاً لحياته . ثم يختم الأعشى مشهده الخمري بحكمة، يقول فيها :

ذاكَ دَهرٌ لأُناسٍ قَد مَضَوا وَلِهَذا الناسِ دَهرٌ قَد سَنَحْ39

فالأعشى يقدّم لنا فكرته التأمّليّة، مرتَئِياً إلى أنّ لكل زمان رجالَه، وحياته، فإن فنيت فئةٌ من الناس، وفنيت معها حياتها التي شاءتها؛ فإن فئات أخرى ستأتي لتكوّن حياتها الخاصة، بلونٍ مختلف، وبطعم يتناسب مع ما تريده هي .

وهكذا نجدُ أنّ النصوص التي وقفنا عندها في هذا النمط، تركّز على صفات الخمر ، من دون أن تُعنى بتأثيرها على الشاربين. و قد استدعى لونُ الخمر ، ظهورَها بهيئة " نورَ الذُّبح " و" ذكي المسك"و "صهباء" و توصف بأنها " سُخامِيَّةً حَمراءَ" فهي سلسة في الحلق. كما توصف بأنها " شمول" ضربتها ريح الشمال فبردت. و نجد أنّ اللون الأحمر، ينسجم مع عمليّة الذّبح ، و هذه العملية تدفع حارسها إلى أن يصلي عليها. و يذكر صاحب لسان العرب معنى مهمّاً عندما يقرن عمليّة الذّبح بالخمر ؛ فيقول : "الذّبح قطع الحلقوم من باطنٍ عند النصيل، و هو موضع الذّبح من الحلق، يقول ابن الأثير: كما أنّ الميتة حرام و المذبوحة حلال، فكذلك هذه الأشياء، ذَبَحت الخمر فحلّت، واستعار الذّبح للإحلال"40. و نعتقد أنّ هذا الشرح ، يفسّرُ صلاة الحارس عليها، طالما أنها قُربانٌ يتصف بالطهارة . كما يفسّرُ قولُ " جواد علي" الآتي سببَ استدعاء الشاعر لعمليّة الذبح للخمر ، يقول : " و من نذورهم في الجاهلية، أنهم كانوا ينذرون بألاّ تهبّ الصبا، حتّى يذبحوا أو ينحروا "41. و هذا يؤكّد أنّ ذبح الخمر، متّصلة بالنذور، فيصفها بأنّها محميّة، و مصون، و بِكر، فتظهر " وعليها خُتُمْ" و "لَها حارِسٌ" و بدليل حملها بالزقاق؛ لأنّ الدّنان تتعرض للكسر "مِن زِقاقِ التَجرِ في باطِيَة جَونَةٍ حارِيَّةٍ". كما أنّ هذه الخمر لا تنفد، بدليل أنها " ما تُبالي يَومَها غَرفَ الإبريقِ مِنها وَالقَدَح" كما تتّصف بالديمومة والحياة المستمرة، بدليل قوله "ما يَبرَحُ الدَهرَ بَيتَها" فهي تتعدّى الإطار الزماني، و المكاني، لتمتلك قدراتٍ لا تستطيع أيُّ خمر عاديّة أنْ تمتلكها.وهذه الخمر لم تُعصَر، بدليل أنها "سُلافة". و هي" تُخالِطُ قِنديداً وَمِسكاً مُخَتَّما" فمن يخالط شيئاً، يصبح مثله؛ لذا فطعمها شبيه بعسل قصب السكر ورائحتها العنبر والكافور.

و تظهر شخصيّة الحارس، فهو" يهودي"، و مهمّته تكمن في دفع الخطر عن الخمر؛ لأنها خمر نفيسة، يحرسها من الخارج. كما يقوم بالصلاة عليها بعد عملية الذبح، بوصفها قرباناً .

---

38 – العصر الجاهلي: الأعشى ، د. محمد صبري الأشتر، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعيّة بحلب، 1970، بدون طبعة : 42 .

39 – سنح: ظهر وعرض.

40 – لسان العرب : 2: 437 . مادة ذبح .

41 – المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 6 : 191 .

كما تظهر شخصيّة الساقي، و مهمته تكمن في الطواف بها، وتقديمها لمّن يستحقّها من الشاربين. و لم يكن له دور، سوى الإسراع في تقديم الخمر.

و نلحظ أنّ هناك نوعَين من الشاربين؛ الأوّل منهما أنهم "فتيان صدق"، فقد وسمهم بالفتوّة المقترنة بالصدق، في إشارةٍ إلى تطهّرهم من جميع آثامهم و ذنوبهم، لكي يستحقّوا احتساء الخمر الذبيح . كما وصفهم بأنهم "شَباب كَمَصابيحِ الدُجى" فهم فئة من الناس لا يختلف شكلها عن مضمونها ، يتحلّون بالشباب ، ويترقرق في وجوههم ماء النعمة والبِشر ، كأنهم مصابيح تضيء في الظلام ، يكسو مجلسهم الوقار؛ لذا فهم يستحقون خمراً غير عاديّة تبعاً لمكانتهم. و أمّا النوعُ الثاني، فيصفُ حالَ الشاربين " بَينَ مَغلوبٍ تَليلٍ خَدُّهُ وَخَذولِ الرِجلِ مِن غَيرِ كَسَح" و هؤلاء ممّن لا يستحقّون شرب الخمر، فيظهرون كأنهم صرعى هذه الخمر.

ونجد ظهور شخصية الكريم من بين الشاربين، فهو يصفه بأنه " أبيض كالسَّيف" ، و كثيراً ما يتّحد هذا الكريم بشخصيّة النديم ، ليغدوَا ذاتاً واحدة. و أحياناً تُذكر شخصيّة النديم، لإبراز المدّة الزمنيّة التي قضاها مع الشاعر، وهو يشرب الخمر معه، والتي امتدّت من الغدوّ حتى الصباح.

ويبرز دور المغني من خلال تأثير صوته الذي يضاعف من تأثير الخمر. و تظهر الجواري بهيئة نساء جميلات طِوال ضِخام ناعمات عاريات الكشوح، كأنهنَّ تماثيل قد أُلبست حللاً.

النمط الثاني: الخمر المسعى:

تبرز في هذا النمط معاني السعي، و الإصرار على تحقيق المراد، فنجد الأعشى يجاهد، باذلاً ماله، و مذلّلاً ناقته من أجل الوصول إلى الخمر، و مسخّراً لها وقته. و يبرّر هذا السعي للحصول على الخمر، و شربها؛ إمّا هرباً من الحياة، و إمّا استهانةً بهذه الحياة، فالحياة بنظر الإنسان الجاهلي قصيرة، يحيط بها الموت من كلّ جانب؛ فهو يشرب الخمر ليزداد قوةً، و جرأة، و شجاعة.

وسنُطِلّ على نصٍّ للأعشى يتناول الخمر بوصفها مسعى، يبذل من أجلها كلّ وقته، و جهده ، و ماله ، يقول في مطلع القصيدة 42:

أَجِدَّكَ لَم تَغتَمِضْ لَيلَةً فَتَرقُدَها مَعَ رُقّادِها

يبدأ الأعشى قصيدتَه بحديثٍ عن صاحبته التي أخلفَتْ ميعادَها، و يُظهِرُ عدمَ اكتراثِه بما فعلتْ، فكثيراتٌ هُنَّ الفتياتُ، و الفاتناتُ اللواتي تمتّع بِهِنَّ بغفلةٍ عن العيون، ثُمَّ يذكرُ صَحْبَه من الفتيان الكِرام الميامين الذين لا يُبالون بإنفاقِ مالهم بالملذّات، وشرب الخمور، يقول:

وَأَبيَضَ مُختَلِطٍ بِالكِرا مِ لا يَتَغَطّى لِإنفادِها43

فصفة البياض– هنا– ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان الكريم الذي يبذل كلّ ما يملكه بطيب نفس، لذا تكتسب الخمر قيمةً عظيمة، بهذا البذل. و هنا نلحظ أنّ الكريمَ لا يُسمّى كريماً إلا عبر الخمر التي يبذل من أجلها كل ما يملك. ثم يقول:

أَتاني يُؤامِرُني في الشَمو لِ لَيلاً فَقُلتُ لَهُ غادِها 44

---

42 – ق8 : 119 و هي في المدح .

43 – لا يتغطى: لا يتساكر إذا نفدت لئلا يشتري.

44 – آمره: شاوره , الشمول: الخمر. غدا على الشيء: بكر إليه , هذا أصله , ثم استعمل في أي وقت كان .

فالأعشى يحتاج إلى هذا الصاحب لكي يوقظه، و يرافقه إلى قضاء أحلى الأماسي مع الخمر والتلذّذ بها ؛ لذا هو الجليس الأنيس له، يشكو إليه ما يعتريه من أحزان و هموم .

و تظهر الخمر بمظهر المحرّض على الكرم، فهي التي ليست شراباً فحَسْب؛ إنها الأخلاق التي تمنحها لكلّ شارب لها ؛ وهي بالتالي تختار شاربيها من صفوة الناس، ولن يستسيغها سوى القادر على التحلي بأخلاقها. ثم يقول :

أَرَحنا نُباكِرُ جِدَّ الصَّبو ح قَبلَ النُفوسِ وَحَسّادِها 45

فالحسّاد والعُذَّل عنصران فنّيان، يركّز الأعشى على إظهار تأثيرهما السلبي في الآخرين، داعياً إلى نبذهما ، من خلال الإقبال على الخمر .

و نجد أنَّ هذه الخمر لا تقدّم نفسها إلا عند الهزيع الأخير من الليل، يقول:

فَقُمنا وَلَمّا يَصِحْ ديكُنا إلى جَونَةٍ عِندَ حَدّادِها 46

نجد أنّ صوت الديك يحمل دلالة الإبكار؛ لذا يقوم الأعشى–برفقة صاحبه– بالإسراع إلى الخمر قبل أن يصيحَ الديك، وقد احتوتها "جَونَة" خابية ضخمة سوداء مطليّة بالقار، في إشارةٍ من الأعشى إلى أنّ هذه الخمر محميّة، و مصون؛ فالأعشى حريصٌ على خمرته ، بل هو حريص على شربها في لحظة معينة، كأنهما في حالة سباق مع الزمن .و هنا نتساءل:

هل يريد الانتصار على الزمن، أم هي من آداب احتساء الخمر؟!.

و لعلّ إعادة القراءة، تجعلنا نلحظ أنْ القصيدة تسير بخط بياني متصاعد، بدءاً بظهور الصاحب الأبيض صدقاً و كرماً، فالمقام الذي يعيشه الأعشى يحتاج إلى كرمٍ نفسي يمنحه الصدق الاجتماعي، و هنا يتقاطع الأعشى مع الكثير من الشعراء الجاهليين في استحضارهم لشخصيات تواسيهم، و تمنحهم جزءاً ممّا افتقدوه. إنّ الأعشى يبحث عن الانتماء الاجتماعي، إنّه يبحث عن الصاحب الجدير بهذه الصفة، فيختار من بين الندامى صاحباً صادقاً كريماً يختلط بالكرام، ومنهم الأعشى. فهو – أي الصاحب– الذي يدفع الشاعر إلى البحث عن خمر توصَف بالشمول، ، و هذا البحث عن الخمر، ينبغي أن يتحقّق في الصباح الباكر، قبل ظهور الحسّاد و العاذلين. ونشعر– هنا– أنّنا في رحلة تبدأ في الصباح الباكر.

و هنا نتساءل: هل هذه الخمر بديلٌ عن الأنثى التي افتقدها الأعشى؟.

و نحن نتفق مع تعليق "إيليا حاوي" على هذا البيت، حيث يقول: " فالأعشى يواقع اللذة ، لكنها لذة منكودة ، قلقة ، يخرج بها عن العرف ويلقى من دونها الاضطهاد. فالناس يحرّمون اللذة و لا يعترفون بأحقّيتها ، و يواقعونها مواقعة يصحبهم فيها الشعور بالذنب . ولئن سخر الأعشى من عاذليه على غيّه، فإن سخريته كانت تنطوي على النقمة واللعنة والحسرة . وذكره للحساد في مقام اللهو والنشوة، يوحي لنا بأن أمره مع المجون لم يكن يسيراً، وأنه لا يتهادن فيه مهادنة نهائية ، بل يمدّ ويجزر فيه بين الريبة واليقين والهدوء والقلق"47 . و نرى أنّ الخمر في هذا النص هي المسعى الذي من خلاله يستطيع الأعشى الحصول على اللذة المتمثّلة بالمرأة في أحد وجوهها؛ فهذا يفسّر لنا ظهور الحسّاد و العاذلين، كما يفسّر لنا اختيار زمنٍ محدّد للوصول إلى الخمر. ويتابع قائلاً:

---

45 – أرحنا: أراح الرجل رجعت إليه نفسه بعد الإعياء وصار مستريحاً. الجدّ: العجلة . الصبوح: خمر الصباح .

46 – جونة: سوداء يقصد خابية الخمر، لأنها كانت تُطلى بالقار،لتسدّ مسامها فلا ترشح. حدادها :صاحبها الذي يذود الناس عنها لنفاستها .

47 – فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب:47

تَنَخَّلَها مِن بِكارِ القِطافِ أُزَيرِقُ آمِنُ إكسادِها48
فَقُلنا لَهُ هَذِهِ هاتِها بِأَدماءَ في حَبلِ مُقتادِها

ولكي يدّللَ الأعشى على أصل الخمر ؛ فإنه يجعلها من بكار القطوف، تخيّرها خمّار، ينعته بـ " أزيرق" فهو رجل أعجمي، يأبى تقديمها، لأنه يريد المزيد، فهو المالك لها، والمتصرف بها. لذا ليس أمام الأعشى وصحبه، سوى الاستجابة لمطلبه؛ لأنّها خمر نفيسة ، لا تُقَدّر بثمن ، فهي لا تُبذل حتى " بأدماء في حبل مقتادها" أي لا يعادل ثمنها ناقة بيضاء مع سائقها. و هنا نجد أنّ تضحيته بالناقة و صاحبها للحصول على الخمر، تومئ بأنّ هناك رحلةً يقوم بها الشاعر، و هو يركب ناقته، فيفني نفسه معها لإنجاز هدفه، و للحصول على ما يسعى إليه؛ لذا يمكن القول: إنّ السّعي للحصول على الخمر ، يتّفق إلى حدّ كبير مع رحلة الشاعر على ناقته ، للوصول إلى هدفه .

و بمتابعة قراءة النص؛ نقع على محاورة جرت بين الأعشى ، والخمّار :

فَقالَ تَزيدونَني تِسعَةً وَلَيسَت بِعَدلٍ لِأَندادِها
فَقُلتُ لِمِنصَفِنا أَعطِهِ فَلَمّا رَأى حَضرَ شُهّادِها49

يؤكّد الفعل "تزيدونني" أنّ الخمار استجاب لعرض الأعشى "هاتِها بِأَدماءَ في حَبلِ مُقتادِها" و بعد أن نشعر بقيمتها لديه، راح يساومه " تَزيدونَني تِسعَةً وَلَيسَت بِعَدلٍ لِأَندادِها " . و نلحظ أنّ الأعشى قد استجاب ، حيث طلب من خادمه،"مِنصَفِنا" أنْ يعطيه ما يريد، مستحضراً شهوداً على ذلك "حَضرَ شُهّادِها" لتتمّ عمليّة البيع بشكلها الصحيح. ثم يقول :

أَضاءَ مِظَلَّتَهُ بِالسِرا جِ وَاللَيلُ غامِرُ جُدّادِها50
دَراهِمُنا كُلَّها جَيِّدٌ فَلا تَحبِسَنّا بِتَنقادِها51

ونلحظ أنّ المساومة ، تحدث في الليل "وَاللَيلُ غامِرُ جُدّادِها"، كما نلحظ أن الأعشى يحاول حماية خمرته، عندما جعل المساومة عليها في مكان مسقوف. و يصوّر الأعشى الخمّار جشعاً، إذ نجده يضيء السِّراج، ليتأكّد من الدراهم، بينما الأعشى يحاول استعجاله لكي يحصل على الخمر ، قبل انبلاج الصبح، و يتحقّق له ذلك، فيحصل على ما يريد، يقول:

فَقامَ فَصَبَّ لَنا قَهوَةً تُسَكِّنُنا بَعدَ إرعادِها

ويعمد الخمّار إلى الدَّن، يصبّ لهم خمراً توصف بأنها "قَهوَةً" في لونها، تتمشّى نشوتها في المفاصل ، فترعدها، ثم تستسلم للذتها، فتسكن هامدة فاترة. و يتابع الأعشى وصفه للخمر ، يقول:

كُمَيتاً تَكَشَّفُ عَن حُمرَةٍ إذا صَرَّحَت بَعدَ إزبادِها52
كَحَوصَلَةِ الرَألِ في دَنِّها إذا صُوِّبَت بَعدَ إقعادِها

---

[48] – تنخلها: تخيّرها. بكار القطاف: أول ما يقطف . أُزيْرق :هو الخمّار جعله أزرق لأنه علج،ليس عربياً وتسميهم العرب كذلك لزرقة عيونهم. آمن إكسادها : لجودتها .

[49] – المِنصف :بكسر الميم ،الخادم , الشهّاد: الدراهم والشاهد الحاضر والمبذول والسريع.

[50] – مظلته: خباؤه. الجداد: الهدب الذي يبقى في أسفل النسيج.

[51] – نقد الدراهم : ميزها ونظرها ليعرف رديئها وجيدها .

[52] – كميت : حمراء تضرب إلى السواد، فإذا مزجت ذهب سوادها وصارت حمراء . صرحت: ذهب زبدها.

تتوالى علينا صفات هذه الخمر، و هي صفاتٌ مستمدّة من داخل الخمر، فتبدو حين تُبذل سوداء، فإذا مُزجت بالماء، و سكنت بعد إزبادها، تكشّفت عن لون أحمر جميل . كما تبدو في أسفل الدَّن إذا أماله ليصبّ منه بعد أن طال قعوده، و قد تناقصت حتى اجتمعت في أسفله، كأنها حَوصَلَة الرَألِ . ثم يقول :

فَجالَ عَلَينا بِإبريقِهِ مُخَضَّبُ كَفٍّ بِفِرصادِها

و يجول الخمّار عليهم بإبريقه، و قد تخضّبت كفّه بما يحمل من خمر حمراء. ثم يتابع فيقول:

فَباتَت رِكابٌ بِأَكوارِها لَدَينا وَخَيلٌ بِأَلبادِها

لِقَومٍ فَكانوا هُمُ المُنفِدينَ شَرابَهُمُ قَبلَ إنفادِها

فَرُحنا تُنَعِّمُنا نَشوَةٌ تَجورُ بِنا بَعدَ إقصادِها

فهم لا يزالون يشربون، حتى يُنفِدوا خمر الخمّارة، قبل أنْ يستأنفوا سفرهم على ركابهم، و خيلهم، و قد حبسوا رِكابهم بأكوارها ،و خيلهم بألبادها على باب الخباء، ثم مَضَوا تستخفّهم النشوة، و تثور بهم جائرة بعد أنْ أصابت منهم مقتلاً .فهذه الخمر تحمل في داخلها ثنائيّة(الحياة / الموت) فالنشوة عنصر من عناصر الحياة . و بتضاعف تأثير هذه النشوة على الشاربين تتحوّل إلى عنصر من عناصر الموت لديهم.

و نُطِلُّ على نَصٍّ آخر، يعزّز نمط " الخمر المسعى" حيث نجد الأعشى يبذل كلّ ما يملكه للحصول على الخمر. يقول في مطلع القصيدة53:

أَصرَمتَ حَبلَكَ مِن لَميـ سَ اليَومَ أَم طالَ اِجتِنابُه

يبدأ الأعشى نَصّه بالحديث عن صاحبته " لميس" بعد أن انقطع ما بينه و بينها من ودّ. ثم يتحدث عن بعض ذكريات شبابه، و فتوّته، فنجده يركب فرسه، متجهاً إلى حيّ المحبوبة. كما يصف لنا تجاوزه الأخطار، و دخوله على صاحبته، و يمضي في وصف محاسنها. إلى أن يصل إلى المشهد الخمري في البيت السابع و الثلاثين، يقول :

وَلَقَد شَهِدتُ التاجِرَ الـ أُمّانَ مَوروداً شَرابُه54

بِالصَحنِ وَالمِصحاةِ وَالـ إبريقِ يَحجُبُها عِلابُه55

فمنذ بداءة النص الخمري، تطالعنا شخصية التاجر الذي يصفه الأعشى بـ "الأُمّان" في إشارة منه إلى توفير الحماية والأمان للخمر والحرص عليها من أي خطر يهدّد وجودها.

ويعزّز هذه الصفة بـ " مورداً " و التي تحمل معنى الماء الذي يورد * في إشارة من الأعشى إلى أنّ الخمر قد تحولت إلى (ماء الحياة) فهي المنهل الذي يشرب منه الندماء، فيغترفون منه بالأقداح صغيرها وكبيرها, لكلٍّ حظُّه من هذه الخمر ؛ ومن بعد فإنّ التعامل مع الخمر على أنها ماء الحياة , يجعلنا نجد أنّ الأعشى يومئ إلى صعوبة الحصول عليها، شأنها شأن صعوبة الحصول على الماء في الصحراء ؛ وهنا تختلف حظوظ الناس في الحصول عليها.

53 – ق54: 341 .

54 – الأُمان: المؤتَمَن الذي يوثَق به، فهو لا يقدّم إلا أجود الخمر.

55 – الصحن: القدح الضخم، و القصعة الصغيرة. المصحاة: قدح من فضة يشرب به. العِلاب: جمع عُلبة، و هو قدح ضخم من خشب.

*** ورد في لسان العرب ، ج3 : 456 ، أنّ معنى الورد ، الماء الذي يورد.**

كما تشير لفظة "مورداً " إلى استمرار الحركة في الحانوت، في إشارة إلى انبعاث الحياة في أرجائه بوجود الندماء. وبتضافر فكرة (ماء الحياة) مع فكرة (الحركة المستمرة) نجد أنفسنا نتعامل مع الخمر بوصفها المسعى الذي يبذل تجاهه الإنسان كلّ ما يملك طالما أنه يعرف قيمتها، ويعرف ما سيؤول إليه إنْ بلغَ غايته . ثم يقول:

فَإذا تُحاسِبُهُ النَدا مى لا يُعَدّيني حِسابُه56

بِالبازِلِ الكَوماءِ يَتـ بَعُها الَّذي قَد شَقَّ نابُه57

و نجد أنّ الشاربين يساومون البائع التاجر، و في هذه المساومة، يومئ لنا الأعشى بأنّ هؤلاء الشاربين يجهلون قيمة ما يشربون؛ لذلك نراهم يرجّحون القيمة المادّيّة على قيمتها المعنوية من جهة ، ومن جهة أُخرى يشير الشاعر إلى كرمه، مُقارنةً بهم، فهو يبذل ماله ومتاعه، وحتى ناقته الضخمة الكبيرة، و فحله الكبير، فإنه يبذلهما مقابل حصوله على الخمر . فبحصول الأعشى على الخمر، يستطيع أن يحصل على اللذة التي يستطيع من خلالها مواجهة الزمن، لذا نجده يبذل كل ما يملكه تجاه الحصول على هذه اللذة، و يسعى إليها جاهداً .

وهكذا نجد أنّ الأعشى يركّز على جعل الخمر محميّة، و مصوناً، و يحرص عليها من أيّ أذى. كما يحرص أيضاً على شربها في لحظة معينة، كأنه في حالة سباق مع الزمن .

إنّ ظهور الخمر بهيئة المسعى، يتّفق مع سعي الإنسان للوصول إلى اللذة التي تتمثّل بالمرأة من جهة، ومن جهة أُخرى للوصول إلى الماء.كما أنّ الحصول على الخمر، يتّفق إلى حدّ كبير مع الرحلة التي يقوم بها الشاعر للوصول إلى هدفه.

أمّا الشخصيات في هذا النمط ، فهي شخصيّة الخمّار،و ينعته الأعشى بـ " أُزيرق" ليدلّل على أعجميته، فهو يملك الخمر، و يتصرّف بها، كيفما يشاء، و من جهة أُخرى، ليبيّنَ قيمة الخمر، و نفاستها، مع الإشارة إلى أنّ الأمكنة التي تنقّل فيها الأعشى، كانت في معظمها ضمن التأثير الفارسي.

أمّا النديم، فينعته بالكريم، فهو لا يُسمّى كريماً إلا من خلال الخمر، و شرائه لها. كما يظهر النديم (الصاحب) محمّلاً بدلالاتٍ كثيرة، فقد يكون بديلاً عن الانتماء الاجتماعي الذي افتقده الأعشى، فنجد النديم صاحباً يصدق معه، و يخفّف عنه مآسيه. و ربّما كان إبكارُ الأعشى إلى الخمر مع نديمه ، شبيهاً –إلى حدّ كبير– بإقبال الفارس، و هو يمتطي فرسه مُقبلاً على الصيد في الصباح البكر.

النمط الثالث : الخمر اللذّة :

إنّ ما يبرّر وجود هذا النمط، ضمن أنماط الخمر عند الأعشى، هو فهمنا لطبيعة الجاهلي، الذي شُغِفَ بالخمر. فهي " تمثّل فرح الجاهلي، و غبطته بمناعم العيش " 58. و قد شاطرت الخمرُ المرأة في اتخاذ مكانة عظيمة في نفس الإنسان الجاهلي، لذا سنحاول التركيز على دلالات الخمر التي تجسّد اللذّة ، فقد تتشكّل اللذّة من خلال المرأة، كما تتشكل هذه اللذة عبر المجلس الخمري بكلّ عناصره.

إنّ هذه اللذّة التي تمنحها الخمر، تضفي على شاربها قدراتٍ، يستطيع من خلالها أنْ يعيدَ توازنه في المجتمع، كما يستطيع من خلالها أن يواجه شعور الموت الذي ينتابه.

---

56 – عداه عن الأمر: صرفه و شغله، أي أنه لا يبالي أن يحاسبه ، فهو سخي يبذل في شربها.

57 –البازل : أي أنه يشرب بثمن البازل، و هي الناقة الكبيرة التي بزل نابها، و ذلك في السنة التاسعة من عمرها. الكوماء: الضخمة. الذي شقّ نابه: الفحل الكبير من الإبل في سنّ التاسعة كذلك.

58 – الخمريّات في العصر الأموي، رجاء أحمد صادق : 38 .

و نطلّ على نصّ خمريّ، يحمل دِلالاتٍ كثيرةً، تعزّز نمط " الخمر اللذّة"، يقول في مطلع القصيدة59:

أَرِقتُ وَما هَذا السُهادُ المُؤَرِّقُ وَما بِيَ مِن سُقمٍ وَما بِيَ مَعشَقُ

يبدأ الأعشى قصيدته، شاكياً ممّا اجتمع عليه من ضعف الشيخوخة، و كلال البصر، و تتابع النوائب، ثمَّ يمضي في إبراز تفاهة الدنيا، و هوانها، فيقصّ طرفاً من أخبار الملوك، و ما كانوا فيه من نعيم – من البيت الخامس حتى البيت الثامن عشر– و لكنّ ذلك لم يمنع عنهم الموت، فكُلّ النّاس يصيرون إلى نهاية واحدة، ليصلَ بعد ذلك إلى المشهد الخمري، يقول :

وَقَد أَقطَعُ اليَومَ الطَويلَ بِفِتيَةٍ مَساميحَ تُسقى وَالخِباءُ مُرَوَّقُ60

أمام شعور الموت، ينهض صوت الحياة من خلال قدرة الشاعر على تجاوز قساوة الزمن الذي يتصف بالديمومة.

و يستدعي الأعشى عنصر الفتوة والشباب، كما يستدعي عنصر السماحة التي توحي بالأمان والطمأنينة، و ذلك في قوله " بِفِتيَةٍ مَساميحَ" ويستحضر خباء مسقوفاً "والخباء مروق" يحجبه عن المحيط الخارجي ليعيش حلماً من الشباب والقدرة. إننا نشعر أنّ الأعشى، يحاول البحث عن الأمان، من خلال الاجتماع بالآخر في مكان آمن ؛ ليكون قادراً على مواجهة ديمومة الزمن، و ذلك في قوله "وَقَد أَقطَعُ اليَومَ الطَويلَ بفتيةٍ". ثم يقول:

وَرادِعَةٍ بِالمِسكِ صَفراءَ عِندَنا لِجَسِّ النَدامى في يَدِ الدِّرعِ مَفتَقُ61

إِذا قُلتُ غَنّي الشَربَ قامَت بِمِزهَرٍ يَكادُ إِذا دارَت لَهُ الكَفُّ يَنطِقُ

كما يستحضر صورة الجارية التي طلت جسمَها بالمسك، فبدتْ بشرتُها صفراء، فيتحسّس الندماء جسمَها من فتوق قميص، مشقوق الأكمام . فصورة الجارية، تحتوي كلَّ عناصر الإثارة، مؤكّداً من خلالها فاعلية " اللذة" التي تمنح الإنسان، القدرة أمام العجز الذي ينتابه من خلال شعور الموت الذي أبرزه في بداية القصيدة.

و قد اعتمد الأعشى في إثارة " اللذة" على معظم حواسّه من البصر والشمّ واللمس والسمع، مختاراً لكلّ حاسة ما يناسبها. فللعين جاريةٌ جميلةٌ، ترتدي من الألبسة المزركشة والملوّنة والمفتّقة، وللأنف رائحةُ المسكِ المميّزة التي لها وقعُها بين الروائح الزكيّة الأخرى، وللّمس جسمٌ اكتسب طراوةً وملامسةً بعد أنْ طُلي بالمسك، وللسّمع صوتُ الموسيقا النابع من المزهر، تتلاعب أصابعُ الجارية بأوتاره مُحدِثة أنغاماً، كأنّها تنطق بإمكانية الحياة، ومواجهة الموت. و يتابع قائلاً:

وَشاوٍ إِذا شِئنا كَميشٌ بِمِسعَرٍ وَصَهباءُ مِزبادٌ إِذا ما تُصَفَّقُ 62

تُريكَ القَذى مِن دونِها وَهيَ دونَهُ إِذا ذاقَها مَن ذاقَها يَتَمَطَّقُ 63

وَظَلَّت شَعيبٌ غَربَةُ الماءِ عِندَنا وَأَسحَمُ مَملوءٌ مِنَ الراحِ مُتأَقُ 64

---

59 – ق33: 269 .

60 – بيت مروق: أي مد فيه الرواق، والرواق سقف في مقدّم الخباء.

61 – ردعه بالشيء : لطّخه به. الدرع : القميص.

62 – كميش مسرع. المسعر والمسعار: ما تسعر به النار أي توقد .

63 – يتمطق: يتلمظ .

64 – الشعيب: الزادة. الغرْب والغزْبة : الفيضة من الخمر، ومن الدمع ،عين غربة: غزيرة الماء . أسحم :يقصد دنّ الخمر لأنه يطلى من خارجه بالقار. أتاق الإناء: ملأه .

ويستحضر صورة الخادم، وهو يشوي اللحم، بنشاط وحيوية؛ فالأعشى يستدعي بذلك الحركة التي طالما افتقدها بعد أنْ طال عمره. كما يستحضر خمراً يَسِمُها بأنّها "صَهباء مِزباد إذا ما تُصَفَّقُ" حيث يعلوها الزَّبد بعدما تُصفّى من إناء إلى إناء، حينما يذوقها الشارب، يظلّ يتلمّظ متلذّذاً مستعذِباً. فالأعشى يحاول تعزيز فاعلية الشهوة لديه من خلال استدعاء صفَتَي الصفاء والعذوبة لخمرته، وهاتان الصفتان تعتمدان على حاستَي البصر والذوق. إنّه يستكمل استخدام جميع حواسه وتطويعها لخدمة المشهد الخمري بجميع عناصره ؛ الفتية المساميح، الجارية المغنية و العازفة، صاحبة الجسد الناعم والرائحة الزكية، و الخادم الذي يشوي اللحم و الخمر الحمراء الصافية العذبة

فالخمر ليست إلا عنصراً جزئياً مكمّلاً للمجلس الخمري، لا تقدّم لشاربها الأعشى، سوى تعزيز فاعلية الشهوة التي تترافق مع صورة الجارية المغنية؛ فهي تعويض عن القدرة التي افتقدها الشاعر من بداية النصّ.

و بتتبّع دِلالات نمط " الخمر اللذّة " نُطلّ على نصٍّ يحمل دلالاتٍ تنتمي إلى الخمر اللذّة ، يقول في مطلع القصيدة 65:

لِمَيثاءَ دارٌ عَفا رَسمُها فَما إِن تَبَيَّنُ أَسطارَها

حيث يقف عند ديار محبوبته، واصفاً ما أصابها من عفاءٍ، و امّحاء، و مبيّناً تأثير هذا المنظر المميت عليه. ثم يعود بذكرياته إلى الوراء، فيصف جمال محبوبته الجسدي، لينتقل بعد ذلك إلى حديث الخمر،و ذلك في البيت الثالث عشر ، حيث يقول :

وَصَهباءَ صِرفٍ كَلَونِ الفُصو صِ باكَرتُ في الصُبحِ سَوّارَها66

يطالعنا من بَداءة النصّ بصفتَين للخمر، فهي "صهباء" لونها الأحمر، وهي "صرف" لم تمزج بالماء في إشارة منه إلى صفائها، ونقائها، وعدم اختلاطها، فهي " كلَونِ الفصوصِ" فهاتان الصفتان دفعتا الشاعر إلى قوله "باكرت في الصبح سوّارها" و تومِئ لنا لفظة "سوّارها" إلى أنّ الخمر محميّة ، و مُصون، ولذلك فإنّ الفعل" باكرت" يحمل معنى المجاوزة و الاختراق. و يتابع فيقول :

فَطَوراً تَميلُ بِنا مُرَّةً وَطَوراً نُعالِجُ إِمرَارَها67

نشعر هنا أننا أمام مبارزة بين طرفين متمثّلين بالأعشى و الخمر، فلا نعرفُ لمَنِ الغلبة، كما نشعر أننا أمام علاقة غرامية بينهما، يحاول كلّ منهما صرع الآخر ومعالجته. ولعلَّ التعاملَ مع الخمر هنا بوصفها بديلاً من الأنثى، يدفعُنا إلى القول إنّ هذه الخمر، تحاول استمالةَ الأعشى إليها بلونها، وصفائها، فضلاً عن الصورة التشبيهيّة " كلون الفصوص" حيث يستحضر جمال عينَي الأنثى التي استطاعت استدراج الأعشى، فإذا به يعالجها فتميل به، يقول :

تَكادُ تُنَشّي وَلَمّا تُذَق وَتُغشي المَفاصِلَ إِفتارَها68

تَدِبُّ لَها فَتَرَةٌ في العِظامْ وَتُغشي الذُؤابَةَ فَوّارَها69

ونلحظ محاولة الخمر السيطرة على الجسد الإنساني، بدءاً من رائحتها التي تصيبه بالنشوة، حتى قبل أن تُذَاق، مروراً بالمفاصل، والعظام إذ تغشّيهما، و تدبّ بهما، وانتهاءً بإعلانها السيطرة على عقله، " وَتُغشي الذُؤابَةَ فَوّارَها" حينما تصعد ثائرةً وهي تفور. ثم يقول:

---

[65] – ق64 : 367 .

[66] – صهباء حمراء والصهباء الخمر . صرف: لم تمزج بالماء. الفصوص جمع فص، وهي حدقة العين، شبّه بها الخمر في صفائها. باكرها: بادرها في الصباح.سوّارها: سار الشراب في رأسه، دار وارتفع، والسوار صفة للشراب نفسه أو لشارب الخمر الذي تسور في رأسه .

[67] – مال به: غلبه. عالج الشيء: زاوله ومارسه.آمر الشيء صار مرّاً .

[68] – إفتارها: فتر و سكن بعد حدّته ، ولانَ بعد شدّته افتره جعله يفتر ويسكن.

[69] – تدب : تسري والدبيب المشي الضعيف .فترة :ضعف وانكسار . الذؤابة: الرأس. فوارها : من فارت القدر إذا جاشت وغلت.

تَمَزَّزتُها في بَني قابِيا وَكُنتُ عَلى العِلمِ مُختارَها70

ويومئ لنا الأعشى، أننا أمام احتفالٍ جماعيٍّ بهذه الخمر، طالما أنه قد اختارها بعلمٍ، وخبرة، ودراية، "وَكُنتُ عَلى العِلمِ مُختارَها" ، ثم يقول :

إِذا سُمْتُ بائِعَها حَقَّهُ عَنُفتُ وَأَغْضَبتُ تُجّارَها71

فهل يمثّل البائع ، وليّ أمرِ هذه الخمر (بديل الأنثى) ؟.

إنْ كان هذا مقبولاً، فنكون هنا أمام مشكلة اجتماعية، يعاني منها الأعشى، ويحاول معالجتها قضية المهر التي يعجز الأعشى أمامها عن الوصول إلى مطلوبه، ويشكّل استحضار شخصية أبي مالك (الممدوح) الحلّ لمشكلة الأعشى. يقول:

مَعي مَن كَفاني غَلاءَ السِّبا وَسَمْعَ القُلوبِ وَإِبصارَها72

أَبو مالِكٍ خَيرُ أَشياعِنا إِذا عَدَّتِ النَفسُ أَقتارَها73

ويبدو أنّ الفعل "سبأ" على صِلة بالفعل" سبى" فكلاهما على صلة بمعنى السعي، و بذل الجهد للحصول على شيء قيّم، وثمين. سواءٌ أكان ذلك السّبي خمراً أم امرأةً. فكلا الفعلين، يحمل معاني القدرة على الامتلاك، و الحصول.

وبوقوفنا عند تركيب "وَسَمعَ القُلوبِ وَإِبصارَها " نجد أنّنا أمام تحوّل تُحدِثُه الخمر، فبعد أن سيطرت على جسد الشاعر، وسلبته عقله، قامت بمنح القلب دوراً عظيماً، ليغدو سمع الأعشى، وبصره. فبانتفاء قدرات العقل، تظهر ملكاتٌ جديدةٌ للشاعر، بفضل الخمر، فهي توجّه الأعشى إلى محاولة التركيز على ملكات القلب، بَدَلَ قدراتِه الجسديّة والعقليّة.

ونؤكّد من خلال هذا النصّ – و غيره– أنّ الأعشى يصرفنا عن معاني الخمر العادية، إلى معانٍ جديدة، يضفيها على خمرته، فأضحت خمراً تحمل طاقاتٍ أنثويّةً، تدفعنا إلى اتخاذ نمط للخمر، هو الخمر البديل عن الأنثى .

ونقف عند نصٍّ آخر، يقدّم لنا خمراً تحتوي على دلالات الخمر اللذة، يقول في مطلع القصيدة 74:

أَأَزمَعتَ مِن آلِ لَيلى اِبتِكارا وَشَطَّت عَلى ذي هَوىً أَن تُزارا

بعد أنْ بعدت المحبوبة عن الشاعر؛ فاضت عيناه، فانحدرت الدموع.و لكي يتغلّب الشاعر على ضعفه و انكساره، يعود إلى نفسه متعزياً، ومخاطباً محبوبته أنه في أيام الشّباب كان يُخرِجُ الكاعبَ المختارة من خدرها، و كان يفني ماله في القمار، متلذّذاً بشبابه في كلّ اتجاه. إلى أنْ يصلَ إلى المشهد الخمري في البيت الثاني عشر. فيقول :

وَذاتِ نَوافٍ كَلَونِ الفُصو صِ باكَرتُها فَادَّمَجتُ اِبتِكَارا 75

غَدَوتُ عَلَيها قُبَيلَ الشُرو قِ إِمّا نِقالاً وَإِمّا اِغتِمارا76

تمتلك خمر الأعشى– في هذا النصّ– صفةً واحدة، وهي الصفاء "ذاتِ نَوافٍ" فهذا الصفاء " كَلَون الفُصوص" أي كصفاء العين. و نلحظ أنّ الأعشى، يقوم بإنجاز فعلَين معاً؛ الأوّل "باكرتها" و الثاني "غدوت عليها" ، فكلا الفعلين

---

70 – تمزّز الشراب تمصصه. بنو قابياء: المجتمعون لشرب الخمر والقابياء :اللئيم .

71 – سام المشتري السلعة: طلب من صاحبها بيعها .تجّارها : تجار الخمر.

72 – سبأ الخمر: سبأ وسِباء اشتراها ليشربها، و السَّباء و السَّبيئَة: الخمر. و سبى الخمر: حملها من بلد إلى بلد، و سبى العدوّ سبياً و سِباءً:أسره سمع القلوب وإبصارها: هي الخمر يصفها بذلك.

73 – شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره وجمعها أشياع . عدَّ المال وعدده: جمعه وادّخره. أقتار جمع قتْر : وهو ما يمسك الرمق من العيش

74– ق 5 : 95 .

75 – ذات نواف : خمر تنفي القذى من صفائها. الفصوص وهو حدقة العين . باكرت: إذا بكرت له بادرت سحراً إلى حاجتي. بكر وابتكر : بمعنى واحد كرر للمبالغة والتوكيد. الدموج : الدخول، ادّمج : دخل في الشيء واستقر فيه واستحكم فيه .

76 – النقال : مناقلة الأقداح في مجلس الشرب وناقلة الأقداح أخذ منه وأعطاه , الاغتمار : القليل دون الري .

يشير إلى الاندماج، والمخالطة، والدخول بالشيء؛ ولذلك نعتقد أنّ الشاعر يحاول التوحّد بخمرته، بدليل تركيب" فَإِدَّمَجتُ اِبتِكارا " و لفظة "عليها" اللذَين كان لهما تأثيرٌ بالغ الأهميّة، في تعزيز فكرة التوحّد التي يسعى الشاعر إلى تحقيقها.

ولكن لماذا يحاول الأعشى التوحّد بخمرته ؟. و لكي نستطيع أنْ نجيب عن ذلك، ينبغي أنْ نبيّنَ استدعاء الأعشى صفة الصفاء في هذا النصّ*. و نعتقد أنّ الأعشى يرى في خمرته، ما يوازي مشاعر نفسية مخبوءة في داخله، فإنْ كان توحّده بالخمر روحيّاً، فهو – بذلك– يحاول الوقوف عند قضية اجتماعية، و معالجتها عبر خمرته، ليستمدَّ منها الصفاء، والنقاء، بديلاً عمّا افتقده الناس من حوله، و خَلتْ نفوسهُم منه ؛ ومن بعد فإنّ التوحّد بالخمر، هو انخراط بها، واندماج معها؛ ، وهنا نجد أنّ الأعشى يعاني مشكلة صعوبة التواصل مع الآخر، والاندماج معه، طالما أنه بعيد عن الصفاء والنقاء. فالأعشى يسعى إلى فكرة الصفاء، و النّقاء، و هذا يعكس رغبته في رسم ملامح عالمٍ مثاليٍّ تحكمه الأخلاق. و بهذا نجد أنّ الخمر هي المعلم الذي ينبغي أن نهتدي به، فهي تعلّم البشر كيفيّة أنْ يتّصفوا بالصفاء والنقاء اللذين لا يشوبهما حَسَدٌ. أمّا إذا كان توحّد الأعشى بالخمر، توحداً مادّيّاً؛ فإنّنا نقع على خمر بديل من الأنثى ، يحاول الشاعر التوحدّ بها جسديّاً، و نجد أنّ التوحد مع الخمر، لا يكون إلا " قبيل الشروق " ، و لكن لماذا هذا التحديد الزماني لمباكرة الخمر، و التوحّد معها؟. لنتابع قراءة الأبيات ، حتى يتسنّى لنا، الوصول إلى الجواب الأكثر إقناعاً ، يقول :

يعاصي العواذل طلق اليدين يُرَوّي العفاة ويرخى الإزارا 77

ونحن لا نوافق شارح الديوان، حينما وقف عند هذا البيت، جاعلاً الأعشى هو الذي يروي مَن يحلّ به من الأضياف، وهو طلق اليدين يجرّ الذيل تيهاً معرضاً عن العاذلين78؛ بل إنّ الأعشى يختبئ وراء شخصية الساقي، ودليلنا عدم استخدامه ضميراً يعود على الساقي "يعاصي" بينما وجدنا في البيتين السابقين فعلَين يعودان على الشاعر "باكرتها، غدوت".

أمّا الصفات التي يضفيها على الساقي، فهي طلق اليدين، ويروّي العفاة ، ويرخي الإزار ، وهذه الصفات يستدعيها الأعشى للدلالة على إنجاز العمل على أكمل وجه ؛ فهو كريم و كرمه لا يشوبه أيّ تباطؤ. فهذه الصفات تعزّز اعتقادنا بأنّ الأعشى يتوارى وراء هذه الشخصية.

وإذا ما أردنا تعليل حضور العواذل في هذا النصّ؛ فذلك للدلالة على أن الأعشى، يريد ترسيخ صفة الصفاء والنقاء في نفوس، طالما خالطها الحسد من جهة . كما أن ظهور العواذل يومئ بانّ الخمر هنا هي بديلٌ من الأنثى التي افتقدها في بداية النص. و يختم مشهده قائلاً:

فَلَم يَنطِقِ الديكُ حَتّى مَلَأ تُ كوبَ الرَبابِ لَهُ فَاِستَدارا79

نلحظ أنّ الأعشى دائم التركيز على استغلال طاقات الخمر "قُبيل الشروق" و " فلم ينطق الديك" وكأننا أمام مرحلتَين، و ينبغي في كلّ مرحلةٍ منهما، أنْ يُنجِزَ الشاربُ المهمةَ الموكلةَ إليه.

*** ينبغي أن نشير أنّ صفات الخمر، تختلف بحسْب ورودها في النص، لذا فإنّ تفسيرنا لأيّة صفة، ليس تفسيراً شموليّاً لهذه الصفة، و إنما هو تفسير جزئي لها يتناسب مع ورودها في السياق .**

77 – طُلُق اليد اليمنى : طُلُعَت يده بالخير طلاقة، طلق يده وأطلقها في المال والخير .العفاة :جمع عافٍ، وهم الأضياف .

78 – يُنظَر: ديوانه:96 .

79 – الرّباب : اسم للمرأة وهي امرأة الخمار

ففي المرحلة الأولى –و قد وقفنا عندها سابقاً– وجدنا توحّد الشاعر بالخمر "قبيل الشروق" . أمّا في المرحلة الثانية، فينبغي على الشارب، أنْ يصلَ إلى مرحلة النشوة ، و يختار لها زمناً محدّداً " فلم ينطق الديك حتى.." . ثم يقول :

إذا اِنكَبَّ أَزهَرُ بَينَ السُّقاةِ تَرامَوا بِهِ غَرَباً أَو نُضارا80

نلحظ استخدام الأعشى لفظتَي"غرباً أو نضارا" في إشارةٍ إلى الفضة والذهب، زينة الإنسان التي طالما ترامى عليها . كما نلحظُ أنّ الخمر التي يتحدّث عنها الأعشى، والتي يخصّ بها أُناساً من دون آخرين، تختلفُ عمّا يحتويه "أزهر" والذي ترامى عليه الشاربون ظنّاً منهم أنّ هذا الإبريق بخمرته هو الإبريق الأفضل، والأغلى، سواءٌ أكان ذهباً أم فضة. لذا نجد أنفسنا أمام خمرتَين؛ خمر يحملها إبريقٌ مصنوعٌ من ذهبٍ أو فضّة، فهي من الخارج ثمينة، أمّا من الداخل، فهي فارغة من محتواها وتأثيرها. و خمر يريدها الأعشى، ولا يستحقّها إلاّ مَن توافرت فيه صفاتٌ خاصّة تؤهّله لشربها. و هي خمر لا تُشرَبُ إلاّ في مدّة محدّدة، وضمن مراحلَ متعدّدةٍ، و لها صفاتٌ خاصّة تؤهّلها لتكونَ خمر إنسانيّةً تعتني بجوهر الإنسان وتدعم أخلاقه .

و هكذا نجد أنّ **التركيز في هذا النمط،** يقع على إبراز تأثير الخمر على الشاعر، و الشاربين، مقابل غياب شبه كلّي لصفات الخمر، و تتجسّد هذه الصفات في "صَهباء " و"صَهباءُ مِزبادٌ "، "صرف" ،" ذات نَوافٍ" فالأعشى يستدعي صفات الصفاء والعذوبة لخمرته، محاولةً منه تعزيز فاعلية الشهوة.

كما أنّ هذه الخمر تظهر بديلاً من الأنثى، و ما يبرّر هذا التعامل مع الخمر، هو تركيز الشاعر على تأثيرها الجسدي على الشارب، و إقبال عليها كأنها أنثى، فضلاً عن التوحّد بها، فالأعشى لا يريد إحياء مشاعره تجاه هذه الأنثى، بل يريد استحضار كينونتها الوجوديّة، محاولةً منه التعويض عمّا افتقده منها.

و تبدو هذه الخمر تعويضاً عن القدرة التي افتقدها الشاعر، بعدما علا رأسه الشيب، و ضعُف جسده. فالخمر لا تقدّم لشاربها ، سوى تعزيز فاعلية الشهوة لديه .

كما أنّ توحّد الأعشى بالخمر روحيّاً، يجعلها بديلاً عن الشعور بالوحدة، فهو يعاني من مشكلة صعوبة التواصل مع الآخر، والاندماج معه، طالما أنّ الآخر بعيد عن الصفاء والنقاء.

و يظهر تأثير الخمر من خلال تراكيب، نذكر منها" تَميلُ بِنا مُرَّةً " "تَكادُ تُنَشّي وَلَمّا تُذَق" "تُغشي المَفاصِلَ إِفتارَها" " تَدِبُّ لَها فَتَرَةٌ في العِظامِ"

و يرتبط شرب الخمر بالزمن ارتباطاً واضحاً، حيث تتفرع مرحلتان عن الزمن، ففي المرحلة الأولى نجد توحّد الشاعر بالخمر "قبيل الشروق" . أمّا في المرحلة الثانية، فينبغي على الشارب، أنْ يصلَ إلى مرحلة النشوة ، و يختار لها زمناً محدّداً " فلم ينطق الديك حتى.." فهي خمر لا تُشرَب إلاّ في فترة محدّدة، وضمن مراحلَ متعدّدةٍ ، كما أنه لا يستطيع أيٌّ كان أنْ يشرب خمر الأعشى، فهي للأضياف "يُرَوّي العفاة"لأنهم امتلكوا صفاتٍ خاصّة تؤهّلهم لشربها.

و نجد أنفسنا – في بعض النصوص– أمام خمرتَين؛ خمر يحملها إبريقٌ مصنوعٌ من ذهبٍ أو فضّة، فهي من الخارج ثمينة، أمّا من الداخل، فهي فارغة من محتواها وتأثيرها. و خمر تخترق معايير الخمر العاديّة، من لذة و نشوة، لتمتلك صفاتٍ خاصّة تُؤَهّلها لتكونَ خمراً إنسانيّةً تعتني بجوهر الإنسان، وتدعم أخلاقه . أمّا الشخصيّات في هذا النمط، فتتمثل بـ "البائع" الذي يساوم الشاعرَ، و لم يكن هذا الظهور مؤثّراً ، و ما يبرّر ذكره إظهار قيمة الخمر الماديّة عند صاحبها، و إظهار شخصيّة الممدوح.

80 – أزهر : إبريق أبيض تراموا : تداولوه وأداروه. غرباً : فضة. نضاراً ذهب .

أمّا الندماءُ، فهُم بهيئة "فِتيَةٍ مَساميحَ" و يستدعي الأعشى في كلامه عنهم، عنصرَي الفتوة "الشباب"، و السماحة "الكرم" ، و يحرص على الاجتماع بالآخر في مكان آمن؛ ليكون قادراً على مواجهة قوّة الزمن. و أمّا ظهور العواذل في هذا النمط ، فيحمل دِلالتَين؛ فمن جهة يريد ترسيخ صفة الصفاء والنقاء في نفوس، طالما خالطها الحسد، و من جهة أخرى فإنّ ظهور العواذل يومئ بأنّ الخمر هنا هي بديلٌ من الأنثى التي افتقدها في بداية النص .

ويستدعي الأعشى صورة الجارية، معتمداً على حواسه في تقديم هذه الصورة، فمن خلال هذا الاستحضار، يحاول الشاعر أنْ يتجاوز شعور الموت الذي ينتابه. كما يستدعي الأعشى صورة الخادم، وهو يشوي اللحم، بنشاط وحيوية؛ فهو يجسّد من خلاله الحركة التي طالما افتقدها بعد أنْ طال عمره. و ربّما كان اتّخاذُ الأعشى مجلسَ الخمر بهيئة الخِباء المُرَوَّق، دليلاً على أنّه يحاول البحث عن عالم آمن .

الخاتمة:

توصل هذا البحث إلى نتائج عدّة؛ ففي **نمط** "**الخمر القُربان**" وجدنا الأعشى قد ركّز على صفات الخمر ، من دون أن يُعنى بتأثيرها على الشاربين. وقد استدعى لونُ الخمر ، ظهورَها بهيئات تنسجم مع عمليّة الذّبح للخمرة. و عندما عُدنا إلى المصادر التاريخيّة، وجدنا أنّ ذبح الخمر، متّصل بالنذور.

و من نتائج نمط " **الخمر المسعى**" أنّ ظهور الخمر بهيئة المسعى يتّفق مع سعي الإنسان للوصول إلى اللذة التي تتمثل بالمرأة من جهة، و من جهة أُخرى للوصول إلى الماء.كما أنّ الحصول على الخمر يتّفق إلى حدّ كبير مع الرحلة التي يقوم بها الشاعر للوصول إلى هدفه.

و من نتائج نمط " **الخمر اللذة** " أنّ التركيز يقع على إبراز تأثير الخمر في الشاعر، و الشاربين، مقابل غياب شبه كلّي لصفات الخمر. كما أنّ هذه الخمر تظهر بديلاً من الأنثى، و ما يبرّر هذا التعامل مع الخمر، هو تركيز الشاعر على تأثيرها الجسدي في الشّارب، والإقبال عليها كأنها أنثى، فضلاً عن التوحّد بها، فالأعشى لا يريد إحياء مشاعره تجاه هذه الأنثى، بل يريد استحضار كينونتها الوجوديّة، محاولةً منه التعويض عمّا افتقده منها. و تبدو هذه الخمر تعويضاً عن القدرة التي افتقدها الشاعر، بعدما علا رأسه الشيب، و ضعُف جسده. فالخمر لا تقدّم لشاربها الأعشى، سوى تعزيز فاعلية الشهوة لديه .كما أنّ توحّد الأعشى بالخمر روحيّاً، يجعلها بديلاً من الشعور بالوحدة، فهو يعاني من مشكلة صعوبة التواصل مع الآخر، والاندماج معه، طالما أنّ الآخر بعيد عن الصفاء والنقاء.

المراجع:

1- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، محمّد مصطفى هدارة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ .

2- أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين ، د. محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية بيروت ، 1972 م.

3- الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني، مصوّر عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة و النشر، بيروت، الجزء التاسع.

4- تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة.

5- جماليات الأنا في شعر الأعشى الكبير ، د.حسين الواد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، الطبعة الأولى ، 2001 م .

6-الخمريّات في العصر الأموي، د.رجاء أحمد صادق ، مؤسسة الانتشار العربي،بيروت، الطبعة الأولى، 2009 م.
7-ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، تحقيق : د. محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة السابعة، 1983 م.
8-العصر الجاهلي: الأعشى ، د.محمد صبري الأشتر، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعيّة بحلب، بدون طبعة، 1970 م.
9-فنّ الشعر الخمري وتطوره عند العرب ، د. إيليا حاوي ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1997 م.
10- في الشعر الجاهلي، د.رعد أحمد علي الزبيدي، دار الينابيع، دمشق، الطبعة الثانية، 2008 م.
11- لسان العرب ، ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت ، الطبعة الأولى، 1992 م .
12- المغامرة النقديّة: دراسة أدبيّة، نعيم اليافي، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1992
13- المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، دار العلم للملايين بيروت، و مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الأولى، 1970 م.